مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

القطة المقدسة



تأليف: ج. هتى/ ترجمة: الشريف خاطر/ مراجعة: مختار السويفى



روائع الأدب العالمى للناشئين

القطة المقدسة

القطة المقدسة

تأليف: ج. هتى
ترجمة: الشريف خاطر
مراجعة: مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

اشراف

حسان كمال

القطة المقدسة

تأليف: ج. هنى

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان : محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد

المشرف العام :
د.سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقي وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د.سمير سرحان

الفصـــل الأول

مدينـــة الريبـــاس

منذ زمن بعيد كانت توجد مـــدينة عظيمة على الشـاطىء الغربى لبحر قزوين . لم تكن مثل المدن التى نراها هذه الأيام ، فقد كانت معظم بيوتها مبنية من الطين والاخشـــاب .. وكانت شـوارعها الضيقة تؤدى كلها الى ساحة فسيحة بوسط المدينة .

حول هذه الساحة الفسيحة ، كانت توجد عدة بنايات أكثر ارتفاعا مبنية بالحجـــارة يعيش الملك فى احداها . لقد كان حاكما للريباس ، الذين يعيشون فى المدينة والأقاليم التى حولها .

وفى بنايات أخرى من الحجارة أيضا ، كان يعيش .

قواد جيش الملك وكهنة المعبد . وكان حول المدينة سور قوى يحميها من هجمات الأعداء .

في يوم صيفى مشرق ، منذ حوالى ثلاثة آلاف عام تقريبا ، امتلأت ساحة المدينة بجمع كبير من الناس . وفى كل لحظة تمر كان يندفع مزيد من الرجال والنساء من بيوتهم للانضمام الى هذا الحشد ، وكان الجميع يتكلمون بأصوات مرتفعة .

ومن حين الى آخر كانت مجموعات من الفرسان تخترق الشوارع الضيقة باتجاه وسط المدينة . كان من الصعب بالنسبة لهم ان يشقوا طريقهم وسط الجموع ، لأن الناس حاولوا ايقافهم وسؤالهم عن السبب فى توجه هذا العدد الكبير من الجنود الى قصر الملك .

خلف مجموعات الفرسان ، كانت تسير فرق الجنود المشاة ، تحمل الدروع والأقواس والرماح .. وكانت ظهور الجنود وصدورهم مغطاة بدروع مصنوعة من جلود الحيوانات . يتبعهم القواد الذين يركبون فى

عربات يجر بعضها حصان ، والبعض الآخر حصانان . كانت دروعهم مصنوعة من شرائح حديدية أو نحاسية تبرق مثل الذهب تحت وهج الشمس .

لكن ما السبب الذى جعل الشوارع تزدحم هكذا ، وعادة ما تكون هادئة آمنة . لا أحد كان يعرف ، رغم أن الكثير من الناس خمنوا أن هنـــاك خطرًا يهدد المدينة .

لقد سمعوا أن جيش مملكة بعيدة قد تحرك منذ عدة أسابيع . وتمنوا أن يتجه هذا الجيش ناحية بلد آخر .

لكن منظر الجنود فى الشوارع فى تلك اللحظة جعلهم يعتقدون أن ذلك الجيش متجه نحو مدينتهم . لم يستطع الجنود اخبارهم بأى شىء . فكل ما عرفوه أن الأوامر قد صدرت اليهم بالتحرك من معسكراتهم والتجمع فى ساحة المدينة أمام قصر الملك .

جلس ملك الريباس فى الصالة الكبرى للقصر المبنى بالحجـــر ، وحوله القـــادة والكهان . كان

الجواسيس يجلبون له يوما بعد يوم أخبار تقدم الجيش الكبير تجاه المدينة ، جيش ملك مصر .

كان يعرف تماما مدى قوة وثراء ذلك الملك وان النصر كان حليفه فى كل المعارك التى خاض غمارها ، فقد تقدم ملك مصر الى كثير من البلدان وانتصر عليها ، وحمل معه آلاف الناس الى مصر وجعلهم عبيذا .

فهل حل الدور الآن على ملك الريباس لكى ينهزم ؟ وهل سيدفع بهؤلاء الفلاحين البسطاء المسالمين وصائدى الاسماك الى مصر ليصبحوا عبيدا ؟

كان الجيش المصرى أكثر عددا وأفضل عتادا من جيش الريباس . ورغم ذلك قطع الملك على نفسه عهدا بأن يحارب بكل ما أوتى من قوة ، لينقذ شعبه من ذلك المصير القاسى الذى حل بكثير من جيرانه .

وبناء على ذلك ، انشغل القادة داخل قصر الملك فى اعداد الخطط للدفاع عن المدينة وشعبها . بالخارج كان من الممكن سماع أصوات الجماهير ، تتحرك جيئة

وذهابا ، وكذلك أصـــوات القادة المرتفعة بالأوامر لجنودهم .

خلف الملك ، وقف أموبا ابنـــه ، الذى كان فى الخامسة عشرة من عمره ، ولم يبد عليه أدنى اهتمام بما يجـــرى فى الحجرة ، رغم أنه كان يرتدى الزى العسكرى وعلى استعداد للقتال . كان القتال يعنى بالنسبة له ، مواجهة العدو وجها لوجه ، وكم كان متلهفا أن يأتى هذا الكلام الى نهايته ، لكى يبدأ القتال الحقيقى .

وعندما رأى والده مشغول الذهن فى اختيار أحسن الخطط من بين تلك التى وضعها قادة جيشه ، انسحب بهدوء خارجا من الحجرة دون أن يلحظه أحد عبر فناء القصر الملكى ، ودخل المبنى الخاص بوالدته ، وهو مبنى منخفض ، على مساحة كبيرة .. مقسم الى عدد كبير من الحجـــرات تفصـــل بينهما قواطع من جلود الحيوانات تتدلى من السقف . فى الحجرة كانت تجلس سيدة يبدو عليها الوقار ، هى والدة أموبا . كان الحزن باديا على وجهها لأن الملك أخبرها بالخطر الذى يقترب

كل يوم . وكانت تخشى أن تفقد زوجها وابنها اذا ما نشبت المعركة .

ما ان دخل ابنها الى الغرفة حتى تحول الحزن البادى على وجهها الى ابتسامة . كانت على وعى تام بشغفه الشديد ولهفته ، ليظهر أنه لم يعد صبيا ، وانه فى شجاعة أى جندى من جنود جيش الريباس .

قال : « ليتهم يكفون عن الكلام ، يا أماه . أنا لا يعنينى المكان الذى سنحارب فيه . لقد ظلوا يتكلمون لعدة ساعات . ولم يصلوا الى قرار الا منذ لحظات فقط ، بتحديد المكان الذى يتجه اليه جيشنا لمقابلة الأعداء . وهو يبعد عن هنا خمسة عشر ميلا . سيكون امامنا أرض طينية ، يصعب على عربات العدو اختراقها . لكن لو لم يستطيعوا الوصول الينا ، فكيف سنصل اليهم ، كان بودى لو أن القادة قد اختاروا مكانا يسمح لنا بقتالهم رجلا لرجل .

ابتسمت الأم وقالت : « أعرف رغبتك الشديدة فى الاسراع بالمشـــاركة فى أولى معاركك ، لكن جيش المصـــــريين أقوى بكثير من جيشـــنا . ومن الحكمة والسهولة بمكان أن ندافع عن المدينة بفرقة صغيرة من الرجال على أن نهاجم جيشا قويا مسلحا بشكل أفضل. لأن سهامهم ستخترق أقوى الدروع ، ومقابل كل عربة نملكها ، يمتلك المصريون ثلاث أو أربع عربات » .

ـــ « لكن يا أماه ، ان رجالنا سوف يقاتلون للدفاع عن بيوتهم وزوجاتهم وأطفالهم . ومن المؤكد أن كل رجل سوف يقاتل حتى يقتل بدلا من أن يتيح لهم الفرصة لأسره ويصبح عبدا » .

ـــ « نعم ، أنا على يقين من أنهم سوف يفعلون ذلك . لكن تذكر أنك مازلت صبيا وابنى الوحيد . قل لسائق عربتك أن يسترك بدرعه عندما تقابل الأعداء وجها لوجه . أنا لا أتصور فقدانك .

اجابها أموبا : « لا تخشى على يا أماه ، سوف

اعود سالما عندما نطرد المصريين خارج أرضنا . لكن ، يبدو أنهم انتهوا من كلامهم .لأننى أرى أبى وقـــــادته يغادرون القاعة » .

أحـــاطت الملكة ابنها بذراعيها وقبلته ، **وقالت** : « اذهب ، يابنى ، قاتل بشجاعة ، وعد الينا سالما » .

فصاح الابن وهو يندفع لمقابلة والده : « بالطبع ، سأفعل ! » .

الفصـــــل الثـــــانى

قبـــل المعـــركة

بعد مضى ساعة امتطى الملك صهوة جواده وقاد جيشه وخرج من بوابة المدينة الكبيرة . وسار خلفه أموبا فى عربة يقودها جندى طويل القامة قوى البنيان، يحمل درعا عريضا لحماية الأمير . كان الملك قد أصدر أوامره بألا يسمح للأمير بالدخول الى ساحة القتال فى الصفوف الامامية .

قال : « لابد ألا يخشى أموبا من الخطـــر ، لكنه مازال صغير السن حتى يقاتل كرجل يافع ضد خيرة الجنود المصريين . واذا قتلت ، فسيصبح هو ملك الريباس ، ولهذا لابد من الحفاظ على حياته » .

ثم التفت الى قائد عربة أموبا وقال : « احرص على حياة ابنى كحرصك على حياتك ـــ و لاتطعه اذا أمرك بالهجوم على المصريين مع العربات الأخرى ! »

واصلت القوات تقدمها ساعة بعد ساعة ، مشاة وفرسان وعربات . وبمجرد غروب الشمس شـــوهد أحد جنود الاستطلاع الريياس وهو يقطع السهل على صهوة جواده مقبلا نحو الجيش المتقدم . وما ان وصل حيث يوجد الملك حتى نزل من على حصانه ، وأبلغه بأن الجيش المصرى قد انتهى من مسيرته بالنسبة لهذا اليوم ، وأنهم فى هذه اللحظة يعدون معســــــكرا للاستراحة أثناء الليل .

سر الملك لسماع هذه الأنباء ، لأن جيشه لم يكن قد وصل بعد الى المكان الذى وقع عليه اختيار قادة جيشه كأنسب مكان للمعركة المنتظرة . فهذا التأخير سيتيح الفرصة لجنوده لينالوا قسطا من الراحة بعد مسيرتهم ، عندئذ يكونون أكثر استعدادا للهجوم الذى كان على يقين بانه سيشن عليهم .

وبناء على ذلك أمر الملك جنوده بالتوقف عن السير ، وان يستلقوا على الأرض فى مجموعات لينالوا قسطا من الراحة . وقام هو بنفسه ومعه قادة جيشه بالتقدم الى الأمام لمعاينة الأرض التى ستدور عليها المعركة .

كان هناك مجرى نهر ضيق . ولما كانت الأمطار قد هطلت منذ عدة أيام ، فقد أصبحت الأرض على ضفتيه موحلة جدا . فقد كانت حوافر الجياد تغوص الى عمق كبير أثناء سيرهم . وتبين للملك من ذلك أن عربات المصريين ستجد صعوبة بالغة فى عبور المجرى، لأن عجلاتها ستغوص فى الأرض وتلتصق بالوحل .

على الجانب الأيمن للمجرى كانت توجد غابة كثيفة .. وعلى الجانب الأيسر وعلى مبعدة ميل ، كانت توجد قرية صغيرة . وكلا المكانين من الممكن حمايتهما وحراستهما بواسطة فرقة صغيرة من جنود المشاة .

بهذا يكون الجزء الأكبر من الجيش محصنا بالنسبة للمقدمة بواســـــطة مجرى النهر ، ومن كلا الجانبين بواسطة الغابة والقرية . ولن يكون فى اســـتطاعة

الجيش المصـــــرى الدوران حول نهايات هذا الخط لمهاجمتهم من الخلف .

عاد الملك الى جيشـه . وكان هو الآخر فى حاجة للراحة قبل الصراع القادم ، لأن مصير مملكته وشعبه يتوقف على نتيجة المعركة .

استلقى الملك للراحة دون أن يخلع أسلحته ، وخلد الى النوم . خيم الصمت على المعسكر كله ، ولم يكن يقطعه من حين لآخر ، الا صوت حصان أصابه الأرق أو الهياج ، أو صوت أسلحة جندى يتقلب اثناء نومه .

مرت الســـــاعات ببطء وقبل طلوع الفجر بوقت طويل ، نهض الملك وايقظ قواده . وأمرهم بقيـــادة رجـــــالهم الى الأماكن التى وقع عليها اختيارهم . فانطلقوا ببطء أثناء الظلام .

كان رماة السهام فى المقدمة ، على هيئة صفوف طويلة منتشرة . تقدموا حتى وصلوا الى حافة المجرى تقريبا ، ليمنعوا عربات العدو من العبور خلفهم حاملو الرماح فى وضع استعداد لمساعدة رماة السهام فى

حالة اذا ما اشتد هجوم الجيش المصرى . وفى المؤخرة وعلى بقعة مرتفعة من الأرض تم صف العربات فى خط واحد ، بحيث تكون فى وضع استعداد للتقدم فى حالة نجاح العدو فى عبور النهر .

ومن جهة الشرق بدأت بشائر الفجر اللامعة فى الظهور . وقف الملك على منطقة مرتفعة فى الخلف فرأى سحابة ضخمة من الغبار من على بعد . **فالتفت الى ابنه وقال :**

« ــ لقد جاءتك اللحظة التى تمنيتها كثيرا . فتلك السحابة من الغبار تخفى تحتها أقوى جيش تقـــــدم لقتالنا . يتحتم على الآن الذهاب لقيادة جنودى .. تذكر اننى لو مت ، فستصبح أنت ملكا ! » .

بانتهاء تلك الكلمات الجليلة ، التفت الملك وحث جواده للمضى سريعا الى الخطوط الأمامية .

وعندما ارتفعت الشمس فى الأفق استطاع جنود الريباس رؤية جيش مصر العظيم خلال سحب التراب ، بفرسانه ومشاته وعرباته ، يتقدم فى صفوف منتظمة .

وواصل الجيش تقدمه ، حتى أصبح أول صف من رماة السهام يبعد مائتى ياردة عن مجرى النهر .

عندئذ أمر الملك حاملى الأقواس ببدء المعركة . ولما كان انتظارهم قد طال لسماع هذا الأمر ، انطلقت سهامهم على الفور تتساقط كالمطر على المصريين المتقدمين ، فتراجعوا الى الخلف . لكن هذا النجاح لم يكن ذا فائدة كبيرة للريباس ، فقد كانت الأقواس المصرية اقوى بكثير من اقواسهم وترسل سهامها الى مسافة أبعد بكثير . ومن مكان آمن بعيد ردا العدو بعاصفة من السهام ، فقتل الكثير من الريباس حملة الأقواس .

ولما كان الملك على وعي بأنه يتحتم عليه الا يهدر حياة أى رجل من جيشه الصغير ، فقد أمر رجال الصفوف الأمامية بالتراجع الى الوراء قليلا ، حتى لا يصبحوا فى مرمى السهام المصرية . وظل الجيشان لفترة قصيرة دون تحرك ، ينتظر كل منهما هجوم الجيش الآخر .

الفصـــــل الثـــــالث

مقتـــــل المـــــلك

كانت توجد خلف صفوف حاملى الأقواس المصريين، صفوف طويلة من الجنود . يتكون كل صف من مائة رجل على الأقل ، وكل رجل يحمل مجموعة من أفرع الأشجار . ثم مروا ببطء عبر الصـــفوف الأمامية .. فاتضح الغرض من حركتهم . فقد كانوا ينوون اعداد طريق لتمر عليه العربات بالقاء أفرع الأشـــجار على الأرض الطينية .

حـــــاول الريباس دفعهم الى الخلف . لكنهم لم يستطيعوا وقف التقدم ، فقد كانت السهام تسقط عليهم بغزارة وبسرعة . سقط كثير من الرجال جرحى وقتلى، لاصابتهم فى الرأس أو القلب بسبب السهام المصرية

الطويلة . لم يستطع شيء وقف التقدم المستمر للذين كانوا يمهدون الطريق . فقد كانوا يلقون ما يحملون من أفرع الاشجار ويعودون لجلب المزيد . كانت صفوف جديدة تحتل مكانهم على الفور ، وهكذا تواصل العمل رغم سقوط رجل هنا أو هناك بما يحمله من أفـــــرع الأشجار .

ورويدا رويدا أصبح الطريق أعرض ، واكتشف الزيباس أنه لن يمر وقت طويل حتى يصبح جســـرا متينا يتحمل أكبر العربات وأثقلها . ولن يمضى وقت طويل حتى تتحصن صفوفهم بالمجرى . وسرعان ما سيقع القتال وجها لوجه بين أعداد ضخمة . واختلجت قلوب أشجع الرجال من الزيباس ، وأحسوا بالخوف من الموت ولو للحظة .

تبين للملك أن هجوم العربات لايمكن أن يقابل برماة السهام وحدهم . فعدل من تنظيم صفوف جيشه .. فجعل حملة الرماح — لأن تسليحهم أفضل من رماة السهام — يتقدمون الى الصـــفوف الأولى ، لمواجهة القادمين عبر الجسر المصنوع من فروع الأشجار .

وامكن رؤية العربات المصرية تتقدم ببطء للهجوم . ثم بدأت تسرع اكثر فأكثر ، فى حين كان جنود المشاة يفتحون لها طريق . والآن وقدوصلت الى الضفة الأخرى من المجرى أصبحت على استعداد لاختراق صفوف الريباس مهما كان الثمن .

هل بامكانهم أن ينجحوا ؟ . لا شك فى ذلك ، اذا لم يدفع بهم الى الخلف ، لأنه من المحتمل أن يفتحوا ثغرة كبيرة فى جيش الريباس . ثم يندفعون يمينا ويسارا ويصبح فى امكانهم بسهولة تدمير نصفى الصفوف التى تم كسرها .

اذن ما هى أفضل طريقة لصد هذا الهجوم ؟ . أمر الملك رماة السهام بالتصويب على الخيول وليس الرجال . ولا يشرعون فى رمى السهام الا عندما يكون الجسر مكتظا بالعربات . وتعشم الملك بأنه لو تم ذلك ، فان الخيول المصابة المتصارعة من الممكن أن تحدث ارتباكا لا تستطيع العربات معه أن تتحرك .. وعلى ذلك فلا يمكن لحملة الرماح أن يتقدموا ، وتصبح

العربات المصرية ذاتها بمثابة حماية لجيش الريباس ! .

وحانت اللحظة الحاسمة . وأصدر الملك أوامره ، فصب الرماة عاصفة من السهام على العربات المتقدمة . وسقط حصان بعد الآخر ، وقد جن جنونه بسبب آلام جراحه .و قفزت بعض الخيول الأخـــــرى بين أفرع الأشجار وتسببت فى انقلاب العربات وسقوط سائقيها فى المجرى .

وظل الجسر لفترة قصيرة مكتظا بكتل متصارعة من الرجال والخيول . ولم يكن بمقدورهم الحركة الى الامام أو الخلف . فقط سقط عليهم وابل من السهام المستمرة ، فقتل وجرح الكثير . وبدأ أن خطة الملك قد نجحت .

لكن قائد المصـــريين ، الملك العظيم تحتمس ، عندما تبين الخطر ، أمر رماة السهام أن يتقدموا الى ضــــفة المجرى وأن يضغطوا على الخط الأول لجيش الريباس . فامتثلوا للأمر ونفذوه فى تلك الأثناء سنحت الفرصة للمصريين ، الذين عانوا من رماح الريباس ،

أن ينقلوا قتلاهم ورجالهم الجرحى والخيول .. واستطاعوا أن يعيدوا ترتيب صفوفهم مرة أخرى بشكل منظم جدا .

بعد ذلك قام تحتمس باستدعاء ألفين من أحسن جنوده المشاة وأمرهم بالتوجه الى المقدمة . فتقدموا بثبات كتفا بكتف والملك على رأسهم ، حتى وصلوا الى حافة المجرى . ثم بصيحة واحدة بدأوا الهجوم .. وعندما رأى سائقو العربات تلك النجدة ، حاولوا مرة أخرى اقتحام الممر بمساعدة جنود المشاة الذين ساروا بمحاذاة عرباتهم .

وتحت غطاء عاصف من السهام المصرية ، تقدم هذا الخليط من الرجال والخيول والعربات عبر الأرض الموحلة . ولم يستطع شيء أن يوقفهم رغم أن الريباس كانوا يحاربون بضراوة دفاعا عن كل عزيز لديهم .

وهكذا انكسرت صفوف الريباس فى مواقع مختلفة .. لقد حاربت مجموعات من الجنود بضراوة ، رغم



هجوم المصريين نحو المدينة

انهم كانوا يهاجمون من الامام ومن الجانبين وحتى من الخلف ، وصمموا على بذل حياتهم الغالية رغم أن القتال كان بلا أمل .

تطلع الملك حوله ، وتيقن أن المعركة خاسرة .. وكان أمله الوحيد أن يجمع شمل بعض الفرق التى مازال قوادها محافظين على صفوفهم . وبذلك يستطيع العودة بشكل منظم الى المدينة ، وهناك يتصدى للمرة الأخيرة لكل قوة الجيش المصرى . وعندما استدار لكى يعطى أوامره للقائد الذى يقف بجانبه ، أصابه سهم فى عينه ، فسقط على ظهره ميتا فى عربته !

الفصـــل الـــرابع

الدفـــاع عن المدينـــة

لكن ماذا عن أموبا ؟ . لقد حارب أيضا بشجاعة مثل اى جندى . وفى آخر هجوم للعربات المصرية ، جعل سائقه جيثرو يقترب بعربته من عربة الملك .. وعندما رأى صفوف الجنود تتكسر ، تيقن تماما مثلما تيقن والده أن المعركة خاسرة . ثم رأى والده يسقط خلال الارتباك والفوضى التى حدثت .

قفز من عربته ، وحاول أن يشق طريقه الى الملك .. الا أن جيثرو تذكر أن أموبا تحت رعايته فتبعه على الفور . لكن جثث الموتى والجرحى كانت من الكثرة فأعاقت سيرهما ، فلم يكن بد من العودة .

قال جيثرو : « انا لا أعرف على وجه اليقين ماذا

حدث لوالدك لقد كان هناك قتال عنيف ، ولما كنت منوطا بحمايتك ، لم تتح لى فرصة المشاركة فيه » .

ـــ « دعنا ننتظر هنا لفترة قصيرة ، ياجيثرو .. فانا أرى بعض عرباتنا خلفنا . دعنا ننضم اليها ونمضى الى المدينة . لكم أكره أن اكون اول شخص يحمل أنباء خسارتنا للمعركة » .

اقترب عدد من العربات ، وتوقفت كلها عندما رأوا أموبا . كان فى احداها أمازيس القائد الأعلى للجيش ، فقفز من عربته عندما رأى أموبا وجاء اليه .

قال : « أيها الأمير ، ما الذى يؤخرك هكذا ؟ . انا سعيد جدا لأنك نجوت من المعركة ، لأننى رأيتك تقاتل بشجاعة ، لكننى ارجوك أن تسرع بالعودة . فلسوف تدركنا العربات المصرية خلال دقائق قليلة » .

تحركت العربات ووصلت الى المدينة فى أمان . وفى طريقهم الى القصـــــــر الملكى قابلوا القوات التى تركوها لحماية المدينة ، تسير فى صمت لتأخذ مواقعها على السور . واثناء عودة أمازيس فى عربة أموبا أخبره

بنبأ وفاة والده ، فأصبح اموبا مستعدا لسماع البكاء والعويل الذى سيقابله عند دخوله القصر .

قال اموبا لامازيس : « ساذهب للقاء أمىّ ، بعدها سأذهب معك الى السور . فينبغى أن نثق الآن فى خبرتك وشجاعتك » .

ــ « سأبذل كل ما فى استطاعى : ، أيها الأمير . فالأسوار قوية ، وأنا آمل ، اذا استطاع جزء كبير من رجالنا العودة الى المدينة ، فأعتقد أنه سـيكون بامكاننا الدفاع عن أنفسنا ضد المصريين » .

انطلق القائد بعربته ، على حين دخل أموبا القصر الملكى . كان جسد الملك مسجى فى أكبر قاعة فوق سرير منخفض مصنوع من الجلود . والملكة تقف الى جواره فى سمت حزين . وتوجه أموبا ليقف بجوارها . فالتفتت اليه وأحاطته بذراعيها .

وقالت : « حمدا للآلهة يابنى ، بعودتك الى ، لكن يالها من خسارة فادحة ، خسارة فادحة بالنسـبة لنا ! » .

ـــ « هى كذلك يا أماه . فلم يكن هناك والد أفضل منه . لكننى أتوسل اليك يا أمى ، بألا تطلقى العنان لأحزانك ، فلسوف يكون لدينا الوقت لكى نبكى ونحزن من أجـــــله فيما بعد . فنحن الآن فى حــــــاجة لكل قوانا . فخلال ساعات سيكون المصريون أمام أسوار مدينتنا . سأذهب لآخذ موقعى بين الجنود ، وأفعل ما أستطيع فعله لرفع الروح المعنوية ، والسيطرة على الفوضى التى تعم المدينــــــة . وأعتقد ، يا أمى ، أنه بامكانك فعل الكثير اذا أردت ، وأنا متأكد أن أبى فى مثواه مع الآلهة ، ليفضـــــــل كثيرا أن يراك تقومين بالمساعدة لانقاذ شعبه ، على أن يراك حزينه هنا » .

قالت الأم : « ما الذى تريدنى أن أفعل ؟ »

ـــ « خذى عربة وقوديها عبر شوارع المدينة ، كونى قدوة لنساء المدينة حتى يفعلن مثلك ويتركن الحزن على موتاهم حتى نهزم العدو .. ادفعى بهن لكى يقمن بجزء فى الدفاع عن المدينة ، فهناك عمل للجميع .. أحجار ينبغى أن تنقل الى الأسوار ، طعام يجهز للرجال

جلود تمد وتنقل الى السور حيث تجهز للهجوم ، لكى تكون دروعا لجنودنامن السهام » .

ـــ « كلماتك عاقلة ، ياأموبا ، ولسوف أفعل كما تقول . مر بتجهيز عربة لى ، وأنت فى طـــــريقك الى السور . لابد أن تأكل قبل أن تذهب ، لأنك ستكون فى حاجة الى كل قواك ، يابنى ! » .

تناول أموبا طعامه الذى وضع أمامه على عجل فى غرفة أخرى ، وبعدها خرج مسرعا الى السور .

تطلع الى الســـــهل من فوق قمة السور ، ورأى الكثير من عربات المصريين . لكن معظم فرق الجيش كله لم تصل بعد ، حيث كانت توجد فرق من جنود الريباس كانت لاتزال تقاتل بشجاعة أثناء تقهقرها الى المدينة . وعندما حل الظلام كانت قد وصلت الى المدينة أعداد غفيرة من جنود الريباس . وأصدر بامازيس أمره بأن يستريح كل الجنود الذين عادوا من المعركة ليلة واحدة ؟ اما الفرق التى ظلت بالمدينة فتتكفل بحراســـة الأسوار .

وعندما طلع النهار ، شرعت النسوة مرة ثانية في العمل الذي بدأنه في الليلة السابقة ، متحذات طريقهن الى الأسوار في صـــــفوف طويلة ، يحملن السلال المملوءة بالأحجار فوق رؤسهن . حتى الأطفال شاركوا في العمل ، وحملوا سلالا مملوءة بالأتربة الى أجزاء السور التي أمر أمازيس بتقويتها .

الفصـــــل الخامس

بدايـــــة الهجـــوم

كان موقع المدينة قد أحسن اختياره ، فهى تقع فوق هضبة صخرية ترتفع عن السهول بحوالى خمسين قدما . ويحجبها من جهة الشرق بحر قزوين ، أما باقى أضـــلاع المدينة الثلاثة كان يحميها سور ترابى كسى بالحجارة ، طوله الكلى حوالى ثلاثة أميال .

عند الظهيرة شوهد المصريون يتقدمون ، ورغم أن أهل المدينة كانوا يشعرون بالأمان خلف الأسوار ، الا أنهم ذهلوا من حجم الجيش الذى رأوه فى السهل . فقد كان يزيد عن ثلاثمائة ألف رجل من الأشداء .

قال جيشرو لأموبا ، الذى كان واقفا يراقب تقدم الجيش : « يبدو وكأنه شعب بأكمله وليس جيشا » .

ــ « شئ مذهل فى الحقيقة ، ياجيثرو . لكن رغم كثرة عددهم ، الا أنهم لن يستطيعوا فعل شئ ازاء اسوارنا » .

ــ « لا يبدو ممكنا بالنسبة لهم أن يستولوا على المدينة ، أيها الأمير ، لكن لا ينبغى علينا أن نكون واثقين من ذلك تماما . فكثير من المدن فى مثل قوة مدينتنا قد انهزمت من قبل هؤلاء المصـــــريين ، ويجب أن نكون مستعدين فى جميع الأحوال . وسوف يرينا صباح الغد شيئا . فأولا لابد أن يتفحص قادتهم الأسوار ، ليروا من أين يبدأ هجومهم ، وسيعطون جيشهم يوما للراحة على الأقل » .

وفى المساء كان هناك اجتماع عام ضم كل قواد الجيش والكهنة والشـــخصيات البارزة فى المدينة .. وتقرر بعد موافقة أموبا ووالدته ، اختيار أمازيس حاكما للمدينة طالما لايزال الخطر موجودا .

صباح اليوم التالى بدأ الجيش المصرى زحفه ، وتوقف على مسافة غير بعيدة من الأسوار ، فى حين

اندفع عدد من الجنود باتجاه أسفل السور الصخرى بحيث لا تصل اليهم السهام .

تساءل اموبا وهو يضع قوســـه الى جانبه : « ما الذى يفعلونه الآن ؟ » .

هز جيثرو راسه وقال : « سوف نرى بعد قليل ــ أنصت ! »

كان هناك صوت دقات تطغى على الضجة .

قال اموبا : « فعلا ــ لكننى لا أتصور أن يفكروا فى قطع الصخور ابدا ! فهذه مهمة صعبة للغاية ، حتى لو اجتمع الشعب المصرى كله » .

لم يعرفوا ما كان يفعله المصـــريون الا بعد مضى ساعة . فعلى حين فجأة ظهرت رؤوس فوق حافة الصخرة المقام عليها السور . فلقد قام المصريون بدق اسياخ من الحديد الصلب من اسفل الى أعلى وبين كل سيخ وآخر ثلاثة أقدام . وهكذا صعد عدد من الرجال الى قاعدة الصخرة ، والقوا بحبال الى أسفل لمساعدة

الآخرين على الصعود . وتدفق بعد ذلك عدد وفير من الجنود ، حتى أكتظت قاعدة الصخرة بهم رغم أن أن مساحتها لا تتعدى بضعة أقدام . أحضر هؤلاء الرجال معهم سلالم طويلة وأسندوها على السور .. وبدأ المصريون يتسلقونها بأعداد كبيرة . كان الريباس مستعدين للهجوم ، وواجه المصريون عاصفة من الحجارة ، وقطع الاخشاب والسهام والحراب . واذا حدث ووصل أى مصرى الى قمة السور هنا أو هناك فكان اما أن يقتل أو يقذف به الى أسفل السهل .

واصل المصريون هذا الهجوم لعدة ساعات ، لكنهم فقدوا الكثير من الرجال ، وفى النهاية أمرهم الملك بالتوقف عن الهجوم . عند غروب الشمس لم يبق أى جندى مصرى على السور .

حل الليل ، ولم يحدث فيه أى هجوم آخر . لكن الرجال القائمين على حراسة السور ، أمكنهم سماع

اصوات غريبة آتية من السهل . فعرفوا أن ضـــوء النهار لابد ان ياتى لهم بشكل جديد من اشكال الخطر .

عندما لاح نور الصباح كانت هناك صيحات دهشة وخوف . فخلال الليل كان المصريون يجذبون بواسطة الحبال قطعا ضخمة من الأخشـــاب والالواح . وكلها كانت مجهزة من قبل وجاهزة للتركيب مع بعضـــها ، لتصبح أكواخا خشبية حتى فى الظلام . وعندما تطلع الناس الى أسفل شاهدوا أربعين او خمسين كوخا أقيمت بمحاذاة أسفل سور المدينة . كانت أسطحها مائلة ، بحيث اذا القى فوقهـــا شىء ، يتدحرج الى أسفل فى السهل . كان ذلك هو العمل الذى انهمك فيه المصريون أثناء ساعات الظلام .

قال أموبا عندما راى ما فعـــله المصـــــريون :
« لكن ما الذى سيحدث بعد ذلك ، ياجيثرو ؟ .. أعتقد أن الرجال الذين أقاموا هذه الأكواخ ، ســـرعان ما

سيقومون بقطع أحجار واجهة السـور . ثم يقومون بسـهولة باختراق الجرف الترابى الموجود خلفها ، ويدخلون المدينة » .

فوافقه جيثرو وقال : « هذا خطر قائم. لكن ليس هناك داع لأن نزعج أنفسنا مسبقا . ولابد أن يعرفوا تماما ، أنهم لو حفروا ممرا خلال السور فلسوف نندفع ونبيدهم . لكننى على ثقة تامة بأنهم لم يتكبدوا هذه المشقة من أجل لا شىء ! » .

الفصــــل السادس

ســـقوط المدينـــة

كان الريياس متأكدين بأن المصريين لو اخترقوا سور المدينة ، أو نفذوا من تحته بحفر خندق ، فسيكون بامكانهم أن يصـــدوا هذا الهجوم بسهولة . لذا فلم يعيروا أدنى اهتمام للاكواخ التى أقيمت أسفل السور . وعسكر رجال أشداء خلفه ، كان نصفهم على استعداد دائم لصد أى هجوم مصرى خلال السور . لكن هذا الاحساس بالأمان كان سبب هزيمتهم .

كان المصريون متمرسين على العمل تحت الأرض أو داخل بطون الجبال للتنقيب عن الذهب والأحجار الكريمة . وكانوا يعلمون تماما بأنه لا فائدة ترجى من محاولتهم اختراق السور بشكل مباشر ، ولابد للريياس

أن يتغلبوا عليهم بسهولة . بعد أن حفروا جانب السور بعض الشيء ، اتجهوا للحفر جهة اليمين واليسار وأنجزوا حفرة ضخمة . دعموا سقفها بقطع الأخشاب والألواح التى نقلوها بهدوء فى الليلة السابقة .

وكلما زاد حجم الحفرة كلما زاد عدد العاملين بها . كل ذلك ، فى حين كان الريباس يظنون أنه لا يوجد سوى عدد قليل من الرجال فى تلك الأكواخ ، لكن عند نهاية الأربع والعشرين ساعة ، كان هناك مالا يقل عن مائتى رجل يعملون تحت السور فى كلا الاتجاهين للهجوم على المدينة خلالهما . وأصدر الملك أوامره لرجاله بأن يكون كل شىء معدا لدخول المدينة فى نهاية اليوم الثالث .

فى كل ليلة كان عدد الرجال العاملين يزداد أكثر فأكثر ، وكذلك تزداد مساحة الحفر داخل السور . تم ازالة الأتربة بسهولة بفؤوس حادة قصيرة . وكان الرجال يعملون فى صمت تام ، وبالقرب من الجانب الآخر للسور دون أن يخطر على بال المدافعين أن

المصـــريين قريبون منهم جدا . فى نهاية اليوم الثالث كانت الفتحات قد اتسعت ولم يبق بينها وبين سطح الارض سوى قدم واحد . وقد دعمت أسقف هذه الحفر بألواح الخشب حتى لا تسقط . كانت اثنتا عشرة نقطة جاهزة للخروج منها ودخول المدينة .

وعندما حل الظلام بدأ الهجوم . واحضر المصريون سلالم طويلة دون جلبة واسندوها الى الصخرة وبداوا تسلقها قبل أن ينتبه المدافعون لهم . عندما فعلوا ذلك، كان آلاف من المصريين يقفون اسفل الأسوار عند حافة الصخرة ، وهم على استعداد للهجوم .

اندفع الريباس فى تلك اللحظة للدفاع عن السور فالقوا بالحجارة وقطع الاخشاب الثقيلة والحديد فوق المصريين عندما حاولوا تسلق السلالم المستندة على السور . ولم يطرأ على ذهنهم اطلاقا ان يندلع اى خطر من تلك الأكواخ الصغيرة القائمة اسفل السور .

كانت الضجة كبيرة جدا لدرجة أنهم لم يستطيعوا سماع المصريين وهم يزيلون الجزء الذى يفصل الحفر

عن سطح الأرض . خاصة وأن الفصائل التى كانت تحرس هذه النقط قد أستدعيت للانضمام الى القوات المدافعة عن السور . ولم يلحظ أحد ذلك الطابور المعتم من الرجال الصامتين ، الذين سرعان ما تدفقوا الى داخل المدينة من داخل تلك الحفر .

ارتفعت معنويات الريباس عندما بدا لهم أن الهجوم المصرى قد فشل ، لكن سرعان ما انتابتهم الدهشة من جراء صيحة غريبة من داخل الأسوار . صيحة سرعان ما ترددت فى الحال من اثنى عشر مكانا مختلفا .. وعندما اندفعوا الى واجهة السور الداخلية ، شاهدوا مجموعات معتمة من الجنود يخرجون بنظام ، وفجأة انهالت عليهم السهام المصرية . ولم يضيع الريباس لحظة فنزلوا من فوق الاسوار لمهاجمتهم .. كيف استطاع المصريون أن ينفذوا الى داخل المدينة ، لم يعرفوا الاجابة على هذا السؤال . كانت كل فرقة

من المصريين تتكون من اربعمائة جندى من الأشداء المقاتلين . واستطاعوا بسهولة أن ينزلوا الهزيمة بهجوم الريباس ، الذين قاتلوا ببسالة رائعة .

كانت المفاجأة مباغتة . وازداد عدد المصريين كل لحظة ، بدخول فرق جديدة من خلال الفتحات أو القفز من فوق السور . وخلال الظلام لم يستطع الريباس التفرقة بين العدو والصديق .

خيل اليهم أن الجنود المصريين كانوا ينبثقون من الأرض ويحيطون بهم من كل ناحية . وفى النهاية ، وبعدان فقدوا الأمل ، بدأ الريباس فى الكف عن القتال توجه البعض الى بيوتهم ، والبعض الآخر الى البحر . وسرعان ما امتلأت القوارب الراسية على الشاطىء واندفعت داخل البحر . أما الذين وصلوا بعد ذلك ولم يجدوا وسيلة للهرب فى ذلك الاتجاه . القى بعضهم

الســـلاح وذهبوا لانقاذ زوجاتهم وعائلاتهم ، وأسرع آخرون بالعودة مفضلين أن يموتوا وهم يقاتلون .

انقضت عدة ساعات قبل أن يتوقف القتال . ولقد عانى المصريون أيضا من الظلام ، ومات كثير منهم بيد زملائهم . وأخيرا اشـــعلوا نارا بجوار بعض البيوت القريبة من السور ، وعندما تجمع المصريون حول حلقة النار هوجموا بشراسة من الريباس . وعندما رأى الملك المصرى عدم استطاعته التقدم أكثر من ذلك ، أمر جنوده بأن يظلوا فى أماكنهم التى سيطروا عليها حتى يطلع النهار

الفصل السابع

أموبا عبدا

عند الفجر أقبل حشد من النساء من وسط المدينة، وعندما اقتربن من المصريين القين بأنفسهن على الأرض وبكين بصوت عال طلبا للرحمة . فقابلهن بعض الضباط المصريين وقادوهن الى الملك .

كان تحتمس انسانا واثقا من نفسه ، فقد قهر مدينة كان كثير من قواده يظنون أنها صعبة المراس . ولما كان قد أضاف الى عظمته والى عظمة مصر بهذا النصر عظمة جديدة ، فقد أصبح على استعداد للعفو عن تلك النسوة الضعيفات والأطفال .

سألهن الملك : « هل القى جميع الرجال بأسلحتهم ؟ » .

فأجابت النسوة ، بأنه لا يوجد الآن أى رجل مسلح فى المدينة . فقد جمعت كل الاسلحة خلال الليل ووضعت فى مكان مفتوح بوسط المدينة .

فقال الملك : « اذن ، فسأهب الحياة للجميع ، فعندما أحارب رجالا جبناء ، لا أبدى حيالهم الا قليلا من الرحمة ، لأنهم لا يصلحون للحياة . لكن عندما أحارب رجالا ، فأنا أعاملهم كرجال . والريبياس أناس شجعان ، فقد حاربوا ببسالة دفاعا عن مدينتهم ، لذا فأنا أضمن الحياة للجميع ، للرجال والنساء ، والأطفال أين ملككم ؟ »

اجابت احدى النساء : « لقد قتل فى المعركة منذ أربعة أيام » .

ـــ « وأين مليكتكم ؟ »

ـــ « شربت السم ليلة أمس ، لأنها قالت انها تؤثر اللحاق بزوجها على أن ترى المدينة تسقط » .

أمر تحتمس بأن يخرج كل أهل المدينة المهزومين الى السهل ويبقوا تحت الحراسة . وأرسل رجالا ليفتشوا

القصر الملكى ، فجمعوا كل الأشياء القيمة . وضع الملك جانبا بعض الجرار المليئة بالذهب من أجل خدمة معابده واختار لنفسه بعضا منها . وبعد أن قام بتوزيع الهدايا على قواده ، أمر بتوزيع الباقى على جنوده .

ثم أمر باختيار خمسين شـابا وخمسين فتاة من العائلات الراقية ، ليكونوا بمثـابة عبيد يتبعونه عند عودته الى مصر ، كما أمر بأن يدفع أهل ريباس قدرا معينا من النقود كل عام الى مصـر . وأمر الجيش بمغادرة المدينة حتى يتمكن الناس من العـودة الى ديارهم .

كان أموبا ضمن الخمسين شـابا الذين تم اختيارهم كعبيد . أما القائد أمازيس فقد هرب فى الظلام أثناء المعركة الأخيرة عند أسـوار المدينة . وأختير جيثرو كذلك ليكون واحدا من تلك المجموعة . وظل أموبا لفترة من الوقت غير حريص على أن يحيا أو يموت . فقد كانت أنباء وفاة والدته بمثابة ضربة قاصمة بالنسـبة له . ملقد فقد كل ما كان يحب ، ولم يعد أميرا ، بل

مجرد عبد . لكنه شعر بقليل من الارتياح عندما علم أن جيثرو أصبح واحدا من مجموعة العبيد .

قال : « قد يبدو من غير الصواب أن أسعد لأنك أصبحت عبدا أنت الآخر ، يا جيثرو ، اذ ان البهجة الحقيقية فى وجودك الى جوارى . فلسوف يكون بامكانى أن أتحدث معك عن أبى وأمى وبلدى ، لأننى أعرفك منذ وقت طويل » .

قال جيثرو : « أنا لم يضرنى أنه قد تم اختيارى ، لأنه ليس لى زوجة ولا أولاد ، ولم يعد بوسعى الاستمتاع بالحياة. هنا خاصة بعد أن هزم الريباس . ربما نجد بعض السعادة فى مصر رغم كوننا عبيدا ، والآن هيا لنساعد رفاقنا ، فمن خلال عملنا هذا سننسى أحزاننا » .

انضم أموبا وجيثرو الى باقى المجموعة . كان بعضهم يبكى ، والآخر يجلس حزينا . لكنهم أصغوا الى كلمات أميرهم ، عندما حاول أن يرفع الأمل فى قلوبهم .

ـــ « لو أن المصريين رأوا أننا نتحمل متاعبنـــــا كرجال ، فلسوف يعاملوننا معاملة كريمة . تذكروا أن أمامنا رحلة طويلة صعبة ، وسنكون فى حاجة الى كل قوانا . وعلى أى الأحوال ، لن يكون الأمر بالنسبة لنا أكثر صعوبة مما سيكون بالنسبة لأولئك النسوة هناك . لقد تعودنا على السير مسافات طويلة والعمل الشاق ، لكن أولئك النسوة لم يسرن على الاطلاق اكثر من بضعة أميال فقط . وسيكن فى حاجة لعوننا حتى نجعلهن يتحملن متاعبهن ومصاعب الرحلة » .

أثرت فيهم كلمات أموبا كالســـــحر . ورغم كونه صغير السن ، ومجرد عبد معهم ، الا أنهم نظروا اليه كأمير . لقد جعلتهم كلمته الهادئة المطمئنة يرفعـــــون رؤوسهم مرة أخرى ، ويتطلعون الى الامام الى المستقبل المشوب بالأمل ، ومن ثم بدأوا رحلتهم الطويلة الحزينة تحرسهم فرق من الجنود من كلا الجانبين .

كانت الامدادات تجمـــع من الأماكن المختلفة فى طريقهم لتغذية الجيش أثناء عودته البطيئة الى مصر .

كان الجزء الأول من الرحلة مريحا الى حد ما ، لأنهم مروا بحقول خضراء واشجار ظليلة . لكن عندما دخلوا الصحراء الواقعة بين جنوب سوريا ومصب النيل فى مصر ، بدأت المصاعب الحقيقية . صحيح انه كانت توجد قرب ماء كثيرة على ظهور الدواب ، لكن القليل منها فقط كان يقدم للعبيد .. كانت الشمس شديدة الحرارة ، والغبار الرملى الناعم يتصاعد كسحب كثيفة من تحت أقدامهم ، مما جعل العبيد يقاسون بفظاعة من العطش . وبعد ثلاثة أشهر من هذا السير المروع ، ابتهجت قلوبهم بالحمد لرؤية الخضرة الجميلة لذلك الوادى الذى سيكون وطنهم ونسوا آلامهم ومعاناتهم من تلك الرحلة الصعبة .

وعندما دخلوا ارض مصر ، صدرت الأوامر بتغيير خط السير . فتبع صف العبيد الطويل عربة الملك . كان أمويا مبهورا بتلك المبانى ومظاهر الراحة والثراء . كانت شوارع المدينة الأولى التى دخلوها مكتظة بالناس الذين انحنوا حتى الأرض عندما مر الملك امامهم . فقد وصلت انباء النصر الى مصر منذ فترة واخذ الناس

يهتفون بحياته لعودته منتصـــــرا . كانوا يتطلعون باهتمام الى صف الأسرى الطويل ، لأنه يحتوى على رجال ونساء من بلد آخر غريب مهزوم ، واحضروا كعبيد .

استمرت الرحلة لثلاثة أســـابيع اخرى . ومروا بعدة مدن ، وكانت معابد كل مدينة أكبر واروع من سابقتها . زاد شغف اموبا عندما وصلوا الى مدينة منف ، التي كانت ذات يوم عاصمة البلاد .

ذات صباح انطلقت صيحة فرح وبهجة ، ولأن اموبا كان قد تعلم خلال رحلته الطويلة بعض كلمات من اللغة المصرية ، فسأل جنديا عن سبب ذلك .

فاجابه الجندى : « هذه طيبة ، عاصمة مصر ، ونهاية رحلتنا الطويلة المتعبة » .

وعندما اقتربوا من المدينة اندفع الناس لتحية الملك وجنوده . وملأ صوت الموســـيقى الجو . واخذت صفوف طويلة من الكهنة طريقها بخطوات بطيئة الى المعابد لاقامة صلوات الشـــكر لعودة مليكهم وجنوده ظافرين .

الفصل الثامن

الكاهن الأكبر

استمرت الاحتفالات بعودة الملك لعدة أيام ، بعدها تم التصرف فى العبيد بأمر ملكى . وهب بعضهم الضباط والقادة الذين أظهروا شجاعة فائقة فى ميدان القتال . والبعض الآخر وهب للكهنة ، فى حين أرسل أغلبهم للعمل فى المنشآت العامة للبناء والطرق .

أما العبيد ذوو الشعر الأشقر والعيون الزرقاء ، الذين كانوا يشكلون اهتماما خاصا بالنسبة للمصريين ذوى البشرة السمراء ، فقد وهبوا لأصدقاء الملك فأرسلت العديد من الفتيات الى الملكة والأميرات ، وأخريات لزوجات الكهنة والضباط الذين يعملون فى البلاط الملكى ، أما الرجال فقد أرسلوا الى الكهنة للخدمة فى المعابد .

كانت فرحة أموبا لا حـــدود لها عندما وجـــد أنه وجيثرو ضمن ثمانية ارسلوا لخدمة واحد من المعابد الكبيرة . وأثناء ســـــيرهم عبر الشـــوارع المزدحمة بالجمـــــاهير فى طريقهم الى مقرهم الجديد ، **التفت جيثرو الى أموبا وقال :** « يجب أن نتذكر اننا عبيــــد يا أموبا . والآن ، ينبغى أن نطيع الأوامر ، بعد أن كنا نصدر الأوامر . ومن المفيد أننا قد تعلمنا شيئا من لغة سيدنا الجديد ، حتى يمكننا أن نفهم أوامره ونطيعها فى الحال ، ولسوف يعاملنا برقة اذا نحن لبينا أوامره بسرعة » .

.عندما وصلوا الى المعبد ، صفت مجموعة العبيد الصغيرة ، ومر الكاهن الأكبر أميرس ليتفقدهم . وكان رجلا نبيل الطلعة وقورا . وطلب من أموبا أن يتقدم خطوة الى الأمام .

قال له : « ستكون خادمى . ما عليك الا أن تؤدى عملك جيدا ، وسوف تلقى معاملة طيبة » .

القى أموبا بنفسه عند أقدام الكاهن الأكبر **وقال :**

« مولاى ، اذا سمحت لى بالكلام ، أرجوك أن تختار الرجل الذى يقف بعدى . فهو صديق لى منذ أن كنت طفلا ، وقام بحمايتى بدرعه أثناء القتال . وأصبح بمثابة والد لى بعد أن فقدت أبى . أرجو ألا تفرق بيننا الآن . وسوف تجدنا متفانين فى خدمتك » .

استمع الكاهن له بوقار ثم قال : « سيكون لك ما ترغب . فمن واجب كل انسان ان يهب السعادة للذين حوله ، لو كان ذلك بامكانه . وصديقك رجل قوى ذو وجه صادق . وسوف يتوافق معى مثل أى أحد آخر . . اتبعانى الى بيتى » .

انحنى العبيد الآخرون لأموبا عندما استدار هو وجيثرو ليتبعا الكاهن .

لاحظ الكاهن ذلك فقال له : « هل كنت شخصا ذا مكانة بين قومك ؟ . لقد انحنوا لك وليس لرفيقك الذى يكبرك سنا » .

فقال أموبا : « أنا ابن ملكهم الميت ، الذى سقط

محاربا ضد قواتكم . ولو لم يتم الاستيلاء على مدينتنا ، ولم تحتل بلدنا ، لكنت الآن ملكهم ! ».

فقال الكاهن : « ان تقلبات الحياة غريبة حقا ، لكنى أتساءل لماذا وأنت ابن ملك ، لم يحتفظ بك تحتمس نفسه ؟ » .

قال أموبا : « أنا لا أظن انه عرفنى . فنحن لا نعـــرف تقاليدكم . وأعتقد رفاقى أننى من الممكن أن أعدم ، اذا عرف أننى ابن ملكهم ، وهكذا ظل وضعى سرا » .

قال الكاهن متفكرا : « ربما كان ذلك أفضل ، على اى حال ، أعتقد أنه بامكانى القول ، بأن حياتك معنـا ستكون سعيدة » .

ثم سأل جيثرو : « هل باستطاعتك أنت أيضا أن تتكلم لغتنا » ؟

قال جيثرو : « أستطيع التحدث قليلا ، لكن ليس بنفس قدرة أموبا . فشفتاى فى هذه السن تعجزان

عن تعلم لغة جديدة بنفس السهولة التى يتعلم هو بها » .

اجاب الكاهن : « أنت تتحدث بما فيه الكفاية للدرجة التى تفهم بها ما قيل لك ، وسرعان ما سوف تتعلم جيدا جدا » .

عندما انتهى الكاهن من كلامه ظهر عند مدخل بيته فتى فى نفس سن أموبا ، هبط الدرجات مسرعا لملاقاة والده .

قال : « أوه ، يا أبى ! هل أحضرت معك اثنين من هؤلاء العبيد الغرباء ؟ لقد شاهدناهم عندما كانوا يسيرون فى المدينة ودهشنا من لون شعرهم وعيونهم .. ولقد لفت نظرنا أنا وأختى مايسه هذا الصبى ، خاصة وأن شعره بلون الذهب تقريبا . هل سيبقيان معنا ، يا أبى ؟

فأجاب أميرس : « سيبقيان ياشيبرون . فقد أخذتهما من ضمن أولئك الذين أرسلوا لمعبدنا . اخترت هذا الصبى الصغير لأنه فى نفس سنك تقريبا . فمن

المفيد للفتيان أن يكون لهم رفاق من نفس السن ، يكبرون معا ويصبحون أصدقاء . آمل أن تجعل منه صديقا لك . اسمه أموبا ، ورغم أنه الآن عبد ، الا أنه كان أميرا فى وطنه ، وكان من الممكن أن يصبح ملكا . تذكر ذلك ، وعامله كما تود أن تعامل لو حدث وأصبحت عبدا فى أيدى أعدائنا » .

فقال الفتى المصرى : « أنا متأكد أننا سنصبح أصدقاء » .

فقاد أميرس بهدوء : « لا تخبر أى أحد بأن أموبا كان أميرا فى بلده . لا تخبر أحدا ولا حتى لأمك أو أختك مايسه . فاذا كان هنا سر يراد الاحتفاظ به ، فمن الأفضل الا يعرفه الا القليل » .

الفصـــل التاســـع

الحيوانـــات المقدســـة

قادهما الكاهن الى صالة فسيحة عبر مدخل البيت ، حيث كانت تجلس سيدة خلفها فتاتان سوداوان من العبيد ، وفتاة فى حوالى الثانية عشرة ، تقرأ وهى جالسـة على كرسى منخفض بالقرب من الســـيدة . قفزت الفتاة واقفة على قدميها عندما دخل والدها .

وقالت : « أوه ، يا أبى . . » ، لكن الكاهن أوقفها باشارة منه .

قال لزوجته : « عزيزتى ، لقد أحضرت معى الى البيت عبدين ممن جلبهم الملك معه عند عودته . لقد وهب هذين الاثنين لى للخدمة هنا وفى المعبد . كانت لهما أصول طيبة فى وطنهما ، ولسوف نبذل اقصى

ما فى وسعنا لنجعلهما ينسيان هذا التغير الحزين .
لقد اخترت هذا الفتى بصـــــفة خاصـــة ليكون رفيقا لشيبرون ، اما بالنســـــبة للآخر فانا لم أقرر بعد أى واجبات أعهد بها اليه » .

فقالت مايسه : « اعطه لى ، يا ابى ؟ لأن فاتيما ليست مسلية ، كما أن الفتاة الأخرى السوداء (دولما) لا تفهم ما اقول لها » .

فسألها الكاهن بابتسامة : « وماهى الفائدة التى تعود عليك من ذلك الرجل الريباسى الطويل ؟ »

قالت مايسه وهى تدير راسها لتتفحص جيثرو :
« لا أعرف بالضبط ، يا ابى ، لكننى احب مظهره ، وانا متأكدة ان باستطاعته عمل كل ما يطلب منه . بامكانه ان يســــير خلفى اذا خرجت ، أو يأخذنى فى جولة بالقارب فى البحيرة ، أو يلتقط كرتى ، كما يمكنه اطعام طيورى وحيواناتى » .

— « لابأس ، يا مايسة ، سيكون جيثرو خادمك

الخاص ، وعندما لا يكون لديه شيء يفعله اثناء النهار، يمكنه اطعام البط والبجع فى البحيرة الكبيرة ، لأن زانبو لا يطعمها بشكل جيد ».

ثم سأل جيثرو : « هل تفهم ذلك ؟ »

كان رد جيثرو ، أن تقدم بضع خطوات الى الأمام وأمسك يد الفتاة وانحنى عليها حتى لامست جبهته يدها .

فقال الكاهن : « هذه هى اجابة سؤالك يا مايسة .. والآن يا أولاد ، يمكنكم الانطلاق . خذوا رفاقكم الجدد معكم ، وأروهم حيواناتكم وطيوركم » .

تقدم الأخ والأخت الطريق عبر ممر الحديقة المليئة بأشجار الفاكهة . وهناك فى آخر الممر ، كانت توجد بوابة تؤدى من خلال السور الى مكان مربع مساحته حوالى خمسين قدما .. وتحت ظل الشجر كانت توجد عشش خشبية . وفى الوسط توجد بركة صغيرة يسبح فيها بجع أبيض جميل ، وبط زاعق ، بينما تقف على شواطىء البركة طيور جميلة ملونة .

عندما اقتربوا من المكان أحدثت الطيور صيحات غريبة ، **فقال شيبرون** : « هذا ليس وقت اطعامكم ، كما تعرفون . أنظر ، ياجيترو ، هذا هو المكان الذى نضع فيه غذاء الطيور . » ثم اتجه ناحية بناء أكبر قليلا من سابقيه ، توجد على جدرانه صناديق مختلفة الأحجام .

فتح أحد الصناديق واخرج منها عشبا أخضـــــر طازجا ، **وقال** : « هذا عشب خاص يحضر طازجا كل يوم من المزرعة . أما الصندوق الثانى فيحتوى على قمح وحبوب للطيور . أرجوك يا مايسه قدمى شيئا منها للطيور ، لأننى لا أستطيع سماع نفسى وأنا أتكلم بسبب الضجة التى يصنعونها » .

بعد ذلك أراهما أطباق اللبن والخبز والفطائر المعدة للقطط . كذلك كان يوجد خبز جاف للكلاب ولحم وعظام تقدم لها مرتين أو ثلاثة كل أسبوع ..

وواصل شيبرون كلامه فقال : « أما هذا القفص فنحن نحتفظ فيه بحيوانات صغيرة لغذاء التمساح ،

الذى يعيش وحده . نحن نطعم الحيوانات ثلاث مرات فى اليوم عندما نكون هنا ، لكن عندما نسافر فستكون تلك مهمتك » .

كان يوجد فى العشة الأكبر قليلا ثلاث قطط سمان مستلقيات فى كسل يراقبن صغارهن الذين يلعبون سويا . نهضت القطط ببطء واخذن يتمسحن فى مايسه وشيبرون . لاحظ اموبا ان كليهما ابديا امارات الاحترام والتبجيل عندما دخلا بيت القطط ، كماكان الحال تجاه الكلاب والتمساح ، التى كانت كلها حيوانات مقدسة فى طيبة .

مر عام هادىء سعيد وهما فى بيت الكاهن . كانت واجبات اموبا وجيثرو خفيفة . وعندما كان شيبرون يذهب الى المزرعة ، كان اموبا يرافقه . ولو قام الكاهن وعائلته بزيارة عائلات اخرى ، كان اموبا وجيثرو دائما ضمن مجموعة الخدم الذين يحملون المشاعل لانارة الطريق لهم اثناء عودتهم .

رغب أموبا فى تعلم المزيد من الحكمة المصرية على قدر ما يستطيع ، وهكذا علمه شيبرون طريقة الكتابة بالصور . فأصبح فى امكانه قراءة الصـــور الموجودة على جدران المعابد والمبانى العامة .

كان يوجد أيام تحتمس الثالث عدد قليل من الكهنة يعتد الشعب برأيهم السديد ومنهم اميريس ، الذى كان الكاهن الأكبر لمعبد الاله أوزيريس . كان الملك يثق فيه ثقة عظيمة لآرائه السديدة فى كل الأمور الهامة . كان ثريا ، ويستخدم ثراءه بنبل وكرم ، ويعيش حياته العادية كما ينبغى أن يعيش الكاهن الأكبر ، لكنه كان ينفق قليلا من المال على نفسه ، ويهب الباقى للفقراء .

اما بالنسبة لوضعه بين الكهنة الآخرين فقد كانوا ينظرون اليه بارتياب ولا يحبونه . فقد كانوا يتهامسون فيما بينهم ويقولون ، رغم انه على قدر كبير من العلم

وحسن الخلق ، الا ان آراءه ككاهن اكبر كانت تخالف آراءهم .

لقد كان على يقين تمـاما بأن أوزيريس وايزيس والآلهة الاخرى التى تحمل رؤوس حيوانات ، ليست بآلهة على الاطلاق ؛ انما هى رموز فقط لاظهار قوة وحكمة وغضب ورحمة ، الاله العظيم الأوحد ـــ اله من المحتمل أن اسمه غير معروف .

كل ذلك كان معلوما لأميرس ولقـلة متعلمة من الكهنة يكنون له الحب . أما باقى الشعب فى مصر فكان يؤدى الشعائر بثقة وايمان ، الى الآلهة ذات رؤوس الحيوانات والى الحيوانات المقدسـة بالنسبة لهم .

حمل أميرس لواء راى يطالب بأنه ينبغى على كل الطبقات الاعلى مرتبة أن تعرف وتفهم حقيقة هذه الآلهة

التى يتعبدون لها . لكن آراءه استقبلت بغضب وخوف من قبل الكهنة وقالوا بان الآخرين لو عرفوا اسرار المعابد ، فسوف تتلاشى قوتهم وتنهار الدولة .

وعندما وجد أميرس انه لن يستطيع فعل اى شىء وحده ، لم يعد يتكلم فى هذا الموضوع ، واستمر فى أداء واجباته الدينية .

الفصـــــل العاشـــــر

انقـــاذ من المـــوت

قال اميريس لابنه بعـــد عـــدة ايام من زيارتهم للحيوانات : « سأقوم بزيارة وآخذك معى ياشيبرون ، لتفقد الاعمال التى تم تنفيذها فى مزرعتى بمنطقـــــة جوشن » .

اجاب شيبرون بفرح لانه لم يبتعد ابدًا اكثر من شمال طيبة : « اشكرك يا ابى ، وكم أود جدا أن أذهب معك . هل يمكن لامويا أن ياتى معنا ؟ » .

فقال الكاهن : « نعم ، كنت افكر فى أخذه معنا ، وجيثرو ايضا يمكنه ان ياتى معنا ، لانتى ساصطحب معى عددا من الناس . فطالما انا كبير الكهنة يجب ان اتبع تقاليد بلدنا . وحقيقة فان السفر الى جوشـــن

يتطلب هذه الترتيبات . لأن الناس هنـاك من جنس مختلف عن جنسنا ، ومن الصـــعب جدا أن نجعلهم يعملون من أجلنا » .

أجاب شيبرون : « لقد سمعت عنهم ، يا أبى ، فهم ينتسبون لنفس سلالة الملوك الرعاة ، الذين كانوا أناسا متعبين . كيف تسنى لهم البقاء فى البلاد فى حين تم طردهم خارجها ؟ » .

ـــ « انهم من نفس السلالة ، لكنهم لم ياتوا معهم ، كما أنهم لا ينتمون الى فضائل الجيش المنهزم . انهم جماعة يؤمنون بأن الله واحد وهو خالق كل شىء » .

فى اليوم التالى بدأ الكاهن رحلته الى جوشن هو والمجموعة المصاحبة له ، وواصلوا رحلتهم لمدة أسبوع فى النيل فى مراكب مريحة حتى وصلوا الى منف حيث بقوا عدة أيام . ومن منف ســافروا برا . أميرس وشيبرون فى عربة ، واموبا وجيثرو فى عربة اخرى ، أما باقى المجموعة فكانت تسير على الأقدام .

خلال يومين وصـــــلوا الى بيت اميرس ، وكان أصغر كثيرا من بيته فى طيبة .

قال اميرس لرئيس خدمه : « لقد أحضرت ابنى معى ، وأود أن تتاح له فرصة كبيرة للصيد والقنص حتى يقضى وقته فى سعادة » .

فى الصباح قابل شـيبرون رباح ، الرجل الذى أرسل اليه ليكون مرشده لأفضل أماكن الصيد والقنص .. كانت الترتيبات قد أعدت للقيام برحلة لعدة أيام الى الشمال قرب شواطىء البحيرة الكبرى . تقدم الرحلة اثنا عشر عبدا ، يحملون فوق رؤوسهم الطعام والخيام وكل ما هو ضرورى ولازم لراحتهم . أحضروا حصانا لشيبرون ، لكنه قرر أن يمشى مع أموبا .

وصـــــلوا فى اليوم التالى الى المكان المختار ، وانطلقت مجموعة صغيرة منهم الى شـــاطىء البحيرة للقنص اذ سمعوا بوجود الكثير من الثعالب هناك . ولم يكادوا يتخطون حدود قرية صغيرة حتى سمعوا صرخة عالية .

صاح شيبرون : « ما هذا ؟ يبدو وكانه امراة » .

أسرع شيبرون تجاه الصوت ، يتبعه عن قرب كل من أمويا وجيثرو . جروا لمسافة مائة متر تقريبا على الشاطىء ،فرأوا تمساحا ضخما يأخذ طريقه تجاه النهر ، ويجرجر امرأة تصرخ طلبا للنجدة .

ورغم أن التمساح حيوان مقدس بالنسبة لشيبرون ، الا انه لم يتراجع للحظة ، بل اندفع وضرب التمساح على أنفه بحربتة . أسقط التمساح المرأة واتجه ناحيته لكن أموبا وجيثرو كانا خلفه وبالقرب منه ، فقاما بمهاجمته . وسرعان ما استشلم التمساح واستدار متجها الى النهر .

وصاح أحد الصيادين الذى جاء مسرعا : « احذر من ذيله ! » .

لكن الوقت كان قد فات ، لأن أموبا تلقى فى اللحظة التالية ضربة القته على الأرض . فدفع رباح حربته خلال جلد التمساح الرقيق بمنطقة خلف الكتف ، وفعل جيثرو نفس الشىء من الناحية المقابلة . توقف الحيوان فى مكانه ، وهو يحرك ذيله بسرعة من جانب الى آخر .

صاح الرجل : « ابق بعيدا ! فقد جرح بشدة ، وليست هناك حاجة لأن تقربه ثانية » .

كان التمساح قد تلقى الضربة القاتلة حقيقة . وأخذ ذيله يضرب بسرعة أقل فأقل ثم توقف عن الحركة ، رغم أن التمساح حاول أن يقبض بأسنانه على من هم أقرب اليه . وسرعان ما سقطت رأسه على الأرض ومات .

أسرع جيثرو الى أموبا وساله : « هل اصبت ؟ »

أجاب أموبا وهو يتنفس بسرعة : « كلا ، لا أظن ذلك . لقد أدت ضـــــربته الى طرد أنفاسى كلها من جسدى ، لكن هذا أفضل مما لو كانت الضربة فى ساقى ، فقد كان من الممكن أن تنكسر . لكن ماذا حدث للمرأة ؟ هل ماتت ؟ »

أجاب جيثرو : « لم يكن عندى وقت لرؤيتها .

دعني أساعدك للنهوض على قدميك . سوف أذهب اليها فيما بعد » .

سارا ناحية شيبرون الذى كان يتطلع الى جسد المرأة ، الذى لم تبد عليه أى مظاهر للحياة .

قال أموبا : « خسارة انها فتاة ، وفى عمر أختك ، ياشيبيرون » .

قال جيثرو : « لابد أن نحملها الى مكان ما ، ونستدعى بعض النساء لمساعدتها . هناك منزل قريب من هنا من المؤكد انها تعيش فيه » .

وطلب من رجلين أن يستدعيا بعض النسوة ، ورفع جسدها الخفيف وحملة الى المنزل .

دخل جيثرو الى البيت . كان يجلس فى آخره رجل عجوز جدا ، شعره ولحيته الطويلة فى بياض لون الثلج . **فسأل عندما دخل جيثرو :** « ماذا حدث ؟ هل عاود اله آبائنا ضربى فى كهولتى ، وأخذ منى حملى

الصغير ؟ لقد سمعت صرخة ، لكن ساقاى ضعيفتان ولم استطيع الذهاب لنجدتها » .

قال جيثرو : « آمل الا تكون الفتاة قد أصيبت اصابة بالغة ، لقد سمعنا صرخة فأسرعنا اليها ، لنجد تمساحا ضخما يحملها الى النهر . لكننا سرعان ما جعلناه يسقطها من فمه . لقد أرسلنا لاستدعاء بعض النسوة . آه ! عظيم ، يوجد هنا شيء من الماء » .

الفصل الحادى عشر

شــــبيرون يرســـل خطابــا

ارقد جيثرو الفتاة على سرير فى ركن الغرفة ، وأخذ وعاء الماء وبدأ ينثر القليل منه برقة على وجهها ، على حين كان أموبا يدلك يديها . مضت عدة دقائق قبل أن تفتح الفتاة عينيها ، وما ان فعلت ذلك حتى دخلت امرأتان الى البيت . فتركوا الفتاة فى رعايتهما وخرجوا .

قال أموبا : « آمل الا تكون أصابة الفتاة اصابة بالغة . يبدو لى من ملبسها أنها من قوم غرباء لأنها ترتدى ملابس تشـــــبه ملابس المرأة التى رأيناها فى القرية عند مرورنا بها » .

بعد مضي بضـــعة دقائق خرجت احدى المراتين واخبرتهم ان الفتاة أصبحت أفضل كثيرا ، وانها لم تصب تقريبا . **وقالت لهم** : « يبدو أن التمساح امسكها من ملابسها وليس من جسدها » اسنانه فقط خدشت ساقها لا اكثر . وكم يود جدها أن يقدم الشكر لكم لنجدتها » .

دخلوا البيت ، كانت الفتاة جالسة على الأرض عند قدمى جدها وتمسك احدى يديه بيديها . وعندما دخلوا وجدت المراتان انه ليس هناك حاجة لوجودهما فانصرفتا .

سأل الرجل العجوز : « الى اى منكم انا مدين بحياة حفيدتى ؟ » .

ـ « أنا شيبرون ابن أميرس الكاهن الأكبر لمعبد أوزيريس بطيبة . وهؤلاء أصدقائى ، أموبا وجيثرو من دولة الريباس ، أحضرا الى مصر ويعيشان الآن معنا كعبدين فى بيت أبى » .

قال اموبا : « رغم انه يدعونا أصدقاءه ، الا اننا عبيده فى حقيقة الأمر » .

قال العجوز : « انه لشىء غريب حقا ، أن يحضر الى ابن كاهن معبد أوزيريس ، ولعل ذلك يجعل أيامى الأخيرة سعيدة، لأننى كنت دائما ارفض الانحناء للآلهة المصريين . ولو كان التمساح قد اختطف « روث » ، فربما كان ذلك افضل بالنسبة لها ، لأنها ستصبح وحيدة فى هذا العالم بعد شروق وغروب الشمس عدة مرات .

ندت من الفتاة صرخة صغيرة ، ونهضت على ركبتيها والقت بذراعيها حول رقبة الرجل العجوز .

ــ « لا مفر من ذلك ، ياروث . لقد عشت مائة سنة وعشرة فى هذه البلاد ، والآن حياتى على وشك النهاية . أنا أدعوها حفيدتى أيها السادة ، لكنها فى الحقيقة ابنة حفيدى . أنا كل ما بقى لها فى هذا العالم ليس لها أب ولا أم ، ولا جد ولا جدة ، لقد تركنا وحدنا

فى هذا العالم . لكنها تؤمن باله آبائها ولســــوف يحميها » .

خيم صمت للحظة ، **ثم قال شيبرون** : « أن أبى حكيم وعالم ، ويقضى فى الأمور بعدالة ، كما سيقول لك أصدقائى . وهو يعلم أن قوم يوسف عندما جاءوا الى هذه الأرض لأول مرة ، كانوا يعبدون الها واحدا فقط . لدى أخت فى نفس عمر روث ، وهى فتاة لطيفة عطوفة . وانا على ثقة من أننى اذا طلبت من والدى أن يأخذ روث لتعيش معه فى بيته فسيوافق ، وتكون صديقة ورفيقة لأختى مايســه .. كما أننى على ثقة أيضا ، بأنه ســـوف يتركها تتعبد بالطــريقة التى تريدها » .

تطلع الرجل العجوز طويلا وبثبات ناحية شيبرون **ثم قال** : « ان كلامك طيب ورقيق ، ياسيدى الشاب ، ولك وجه صادق . منذ عدة سنوات قلت اننى أفضل أن تموت الفتاة على أن تصبح خادمة عند المصريين ، لكن وهاهو الموت يقترب فقد غيرت رأيى . روث ،

يا ابنتى ، لقد سمعت العرض ، وانت التى يجب عليك ان تقررى . فهل ستذهبين مع هذا الشاب المصرى وتخدمين إخته ، أم تعودين الى قرية أهلنا ؟ » .

كانت روث فى تلك اللحظة قد نهضت على قدميها ، وأخذت تنظر مباشرة الى شيبرون ، ثم تحول نظرها الى اموبا وجيثرو ، وعاد ثانية ببطء واستقر على شيبرون .

وقالت : « أعتقد أن الله قد أختار لى ، وارسلهم الى هنا ليس لانقاذ حياتى لكن لحمايتى ، ان وجوهم صادقة طيبة . اذا قبلنى والد هذا الشاب فسأذهب عندما ترحل عنا ، لأكون خادمة ابنته » .

قال العجوز : « هذا شىء طيب . الآن أنا على استعداد للموت ، لأن صلواتى قبلت . ولعل الاله يتعامل معك ومعكم ومع المصريين ، بنفس القدر الذى عاملتم به طفلتى » .

قال شيبرون : « الآن سنرحل ، لانك ولا شك

متعب ، وكذلك روث فى حاجة لأن ترتاح ، لأن التمساح أفزعها بشكل فظيع .

معسكرنا على بعد ميل من هنا بجوار البحيرة ، وسوف نأتى لرؤيتك غدا » .

لم ينبس أحد بكلمة لبعض الوقت بعد أن غادروا البيت ، **ثم قال شيبرون** : « سأكتب خطابا لأبى أقص عليه كل ما حدث . وأرسل أحد العبيد به على الفور . ومن الممكن أن يعود غدا . سوف يسعد ذلك قلب الرجل العجوز عندما يعلم أن كل شىء قد تم اعداده . كما سأحكى لوالدى أيضا عن مشكلتى » .

فسأله أمويا : « أية مشكلة ؟ فأنت لم تقل لنا شيئا عن أى مشكلة ؟ » .

ـــ « ألم تدرك ، يا أموبا ؟ أنا فى مشكلة لأننى ساعدت فى قتل تمساح . وهذا خطأ من جانبى ، لكن ماذا بوسعى أن أفعل ؟ » .

حاول أموبا ألا يبتسم .

ـــ « ليس بوسعك أن تفعل شيئا ، ياشيبرون . اذ لم يكن بوسعك أن تهمس له فى اذنه بأنه اخطأ بالامساك بالفتاة ، واستخدمت الوسيلة الوحيدة المتاحة لك لتوقفه . والضربة التى وجهتها اليه لم تصبه بأذى انما قتله جيثرو والصياد » .

قال شيبرون : « أنت لا تفهم ، يا أموبا . انا أدرك أن حياة حيوان ليست فى أهمية حياة رجل أو امرأة ، لكن التماسيح حيوانات مقدسة ، وتلحق بمن يؤذيها أضرارا كثيرة » .

ـــ « فى هذه الحالة ستقع الأضرار على الناس الذين يعيشون فى هذه المنطقة ، حيث قتل التمساح . وأنا لم أسمع بأنه قد حدثت أضرار لهم ، اكثر مما حدث لهؤلاء الذين يعتقدون بأن التمساح حيوان مقدس » .

ـــ« ربما يكون الأمر كما تقول ، يا أموبا ، لكن كما تعرف ، فهناك بعض الآلهة مقدسة بصفة خاصة فى أنحاء مختلفة بمصر » .

ــ « اذن لا تشغل بالك ياشيبرون . فالتمساح ليس حيوانا مقدسا هنا ، لذا فلن يقع عليك اى ضرر . وأنا متأكد أن والدك لن يعير الأمر أهمية تذكر ، خاصة وأنك لم تسبب ضررا حقيقيا للحيوان » .

كتب شيبرون رسالته ، وكانت رسالة طويلة ثم استدعى رباح وطلب منه أن يرسلها على الفور مع عبد سريع العدو .

بعد الافطار فى اليوم التالى عاد العبد حاملا رسالة من أميرس .

قال شيبرون بسعادة عندما انتهى من قراءة الرسالة : « لقد وافق والدى . كنت أشعر تماما أنه سيوافق . سأذهب الى الرجل العجوز على الفور لأخبره بذلك . لن أكون بحاجة اليك هذا الصباح ياجيثرو ، ويمكنك البقاء هنا مع أموبا ، أو تقوم بالصيد فى البحيرة . فالقارب جاهز » .

توجه شيبرون الى بيت الرجل العجوز . كانت روث فى الحديقة عندما وصل ، فقالت له : « سيسعد

جدى برؤيتك ، ياسيدى لكنه اضعف من المعتاد هذا الصباح » .

ثم قادته الى داخل البيت .

بدأ شيبرون الكلام بقوله : « أبلغتنى روث أنك لست على ما يرام اليوم » .

فقال العجوز : « أنا مندهش ، من أن الذى حدث بالأمس لم يقتلنى » .

قال شيبرون : « لدى أنباء طيبة لك ، بالأمس بعثت برسالة الى والدى ، وتلقيت الرد » .. ثم أخرج خطابا وقرأ بصوت عال الجزء الذى قال فيه أميرس أنه لا مانع عنده من استقبال روث فى بيته ، ولن يحاول اجبارها على التعبد للآلهة المصريين .

ـ « أشكرك ، أشكرك ياسيدى الشاب . وأنا أبتهل الى اله آبائى علة يتعامل معك بعطف ، لكن هل من الممكن أن تبقى روث معى ، تلك الفترة القصيرة المتبقية من حياتى ؟

ـ« بالتأكيد . وقد كتب أبى ما ينبغى عليها عمله ، وأرسل نقودا لتدفع ثمن رحلتها النيلية حتى طيبة » .

الفصل الثاني عشر

الاعـــداد للـــزواج

ظلت المجموعة يومين آخرين على ضفاف البحيرة للصيد والقنص ، ثم عادت عبر الصحراء الى حيث يقيم اميرس . وقضوا شهرين يراقبون الأرض والمبانى وما تم انجازه من أعمـــــال . فى النهاية وعندما رأى أميرس أن كل شىء على ما يرام ، ترك واحدا من أفضل رجاله لمراقبة سير العمل ، ثم بدأ رحلة العودة مع ابنه الى طيبة .

بعد عودته الى طيبة ، جاءه خادم وقال له ان هناك فتاة تدعى روث ترغب فى رؤيته . أمر الخادم أن يحضرها وفى نفس الوقت أرسل لاستدعاء شيبرون الذى كان يذاكر دروسه .

قال الكاهن الاكبر : « أنا سعيد لرؤيتك يا طفلتى. لابد أن جدك العجوز الذى حدثنى ابنى عنه قد مات، ولم ترغبى فى تركه وحيدا فى هذه السن الكبيرة » .

أجابت روث : « لقد مات منذ شهر، ياسيدى . ولم أستطع العثور على قارب ينقلنى الى هنا الا بعد أسبوعين » .

قال أميرس : « شيبرون ، قل لمايسة أن تحضر الى هنا » .

وعلى الفور أحضرها شيبرون . كانت تعلم مسبقا بأن الفتاة حضرت لتكون خادمتها الخاصة ، كما أنها شغفت جدا بحكاية نجاتها الغريبة من التمساح التى رواها لها شيبرون .

قال اميرس عندما دخلت ابنته : « هذه روث ، يا مايسة .. لقد حضرت لتكون فى صحبتك . لقد فقدت صديقها الوحيد ، وانا أريدك يا ابنتى ، أن تكونى عطوفة معها . وأنت تعرفين ما يمكن أن تقاسيه انت

نفسك ، اذا وضعت بين أناس غرباء . ستكون عاداتنا غريبة بالنسبة لها بعض الشيء ، لكنك سرعان ما ستجعلينها مرتاحة . أرجو ذلك » .

أجابت مايسه وهي تبتسم لرفيقتها الجديدة : « سأبذل كل جهدى لكى أجعلها سعيدة » .

ثم قالت لروث : « أنا متأكدة من أننى سأحبك ، وأرجو أن يعرفه كل منا الآخر بشكل أفضل . وأنت الأخرى ستحبيننى ، لأنه كما يقول والدى ، سنكون مع بعضنا » .

أجابت روث : « أنا على يقين من أننا سنصبح أصدقاء ، فأنا لم يكن لى أصدقاء أبدا من نفس سنى ، وسأبذل قصارى جهدى لأسعدك ، لأن والدك وأخاك كانا فى منتهى العطف على » .

قال أميرس : « اذهبى معها ، يا مايسه . لقد أبلغت والدتك بحضورها . أريها حديقتك وحيواناتك . ثم خذيها الى داخل البيت واشرحى لها ما ينبغى عليها أن تفعله » .

لم تكد تمضى عدة أيام على روث حتى اصبحت فى منتهى السعادة والراحة فى بيتها الجديد . فقد كانت بمثابة الرفيقة والخادمة فى نفس الوقت لمايسه .. كانت تخرج معها فى نزهاتها ـ يتبعهما المخلص جيثرو، وتساعدها فى اطعام حيواناتها ، وكان للفتاتين أحاديث هادئة عن حياة روث عند البحيرة التى تقع بالقرب من البحر الأعظم .

بعد فترة قصيرة من عودتهم من رحلتهم الى جوشن فرض حدث هام جدا نفسه على حياتهم . فقد أصبح شيبرون كاهنا فى المعبد . وفى البداية كانت واجباته خفيفة ، لأنه كان مبتدئا ، فكان يقضى معظم وقته فى البيت كالعادة ، ويواصل دراساته .

أصبح بامكانه الآن أن يدخل المعبد فى أى وقت ، ويدلف الى ساحات المعبد والأماكن المقدسة الأخرى التى لا يدخلها سوى الكهان . كانت كل ساحات المعبد مكشوفة ، وكان شيبرون يحب أن يتجول فيها عندما يكون القمر ساطعا ، لأنها تكون خالية من المتعبدين

الذين يحتشدون فيها نهارا ، وأمام التماثيل الحجرية للآلهة كانت توجد نيران موقدة بصفة مستمرة . ومن حين الآخر كان يمر أحد الكهنة بعباءته البيضاء خلال هذه الساحات لمراقبة هذه النيران ، وعادة ما كان شيبرون حرا فى التجول فى أى مكان .

أحيانا كان يأخذ معه أموبا . كانت الأبواب تظل مفتوحة طوال الوقت بالنسبة له ، ولمن يكون معه . ولو حدث وقابلهما أحد الكهنة فى الساحات الداخلية فقد كان يظن أن أموبا واحدا من خدم المعبد يسير مع شيبرون .

بالقرب من بيت أميرس كان يقع بيت بتايلاس ، الكاهن فى معبد أوزيريس ، والذى يلى أميريس فى المرتبة .

كانت بين الاثنين وشائج صداقة حقيقية ، لكن بقدر ضئيل ، لأنهما يختلفان فى الشخصية وفى طريقة تفكيرها . كان رجلا معتدا بنفسه جداً ، ولا يتعاطف مع من هم أقل منه مرتبة أبدا ، ويكره أميرس سرا

ويحاول فى مناسبات عديدة أن يروج عنه حكايات غير صحيحة . وكان يتمنى أن يصدقها الملك وبالتالى يفقد الثقة فيه ، فينقل الى منطقة نائية من البلاد ولا يصبح كاهنا اكبر . فى هذه الحالة بالطبع ، من الممكن أن يحل بتايلاس محله فى معبد أوزيريس . لكن بتايلاس لم يفلح فى ايذاء أميرس بأى طريقة ، لأنه كان محبوبا جدا لكل من يعرفه ، ولأن الملك يثق فيه وفى حكمته .

كانت زوجة بتايلاس تعلم كل شىء عن كراهية زوجها لأميرس ، وتبذل كل جهدها لمعاونته فى خططه . فعندما كان يجيىء ذكر اسم أميرس بين صديقاتها كانت تهز رأسها ، بما معناه أنها يمكن — اذا أرادت ، أن تحكى عنه أسرارا مرعبة .

كان أميرس من جانبه لا يتكلم فى البيت أبدا عن وجهة نظره فى الطريقة التى كان الناس يتعبدون بها للتماثيل الحجرية للآلهة . ولم تكن عائلته تعرف شيئا عن خلاف الرأى بينه وبين الكهنة الآخرين فى المعبد ، كان يعرف أن زوجته أمنيس امرأة معتزة بنفســـها ،

لكنه سمح لها أن تتصرف بكامل حريتها ، وتنفق الكثير من المال كما تشاء . لكنه كان حريصا ، مهما كان الأمر ، على الاشراف بنفسه على دراسة شيبرون ومايسه .

وذات يوم بينما كان غارقا فى كتبه دخلت زوجته الغرفة .

قالت : « أرجو الا يكون دخولى قد أزعجك ، يا أميرس ، لكن شيئا هاما قد حدث . فقد كانت نيكوتيس تلك المرأة المتعالية زوجة بتايلاس ، هنا بعد الظهر ، فماذا تتصور أنها قالت ؟

قالت : « ان الأمر سيكون رائعا لو أمكن التوفيق لتزويج ابنها بلكسو من ابنتنا مايسه ».

انزعج أميرس وغضب من تلك الأنباء .

وقال : « ماذا ، انها ليست سوى طفلة » .

ـــ « كلا يا أميرس ، ليست طفلة الى هذا الحد . فهى فى حوالى الخامسة عشرة ، والزواج غالبا ما يتطلب السن الأصغر » .

لم ينطق أميرس بكلمة . فما قالته زوجته صحيحا تماما . لكن هذا الخبر ، كان مفاجأة غير سارة بالنسبة له .

قال : « على أى حال لو أن مايسه فى سن مناسبة للزواج ، فسوف نفكر فى الموضوع ، لكن ليس هناك داع للعجلة . أما بالنسبة لبلكســـو ، فأنا لا تعجبنى شخصيته . فهو مغرور ، غير مهذب ، ووقح . ليس من النوع الذى يمكن أن أهبه ابنتى » .

لم ترض تلك الاجابة زوجته تماما . صحيح انها اتفقت معه فى عدم ابرام هذا الزواج ، لكن لأسباب مختلفة تماما . فقد كانت تأمل أن تزوج ابنتهـــا من شخصيته نبيلة ثرية ذات منزلة عالية ، أو حتى ربما لواحد من أفراد العائلة الملكية . كانت تفكر على هذا النحو لتحصل على المزيد من الثراء والمكانة العـــالية لنفســـها .

ــ « أنا سعيدة لانك ضد فكرة هذا الزواج ،

وأتفق معك تماما بالنسبة لابن بتايلاس . لكن ماهى المبررات التى سأقولها لنيكوتيس ؟

فقال اميرس باندهاش : « الأســـــباب الحقيقية بالطبع ! فهل توجد أسباب أخرى ؟ »

ابتهجت أمنيس فى سرها ، لأنها أحست بأن رد زوجها من الممكن ألا يكون أخبارا سارة بالنســـبة لبتايلاس وزوجته نيكوتيس .. وتمنت أن يكون ذلك بمثابة درس لهم حتى لا يظنوا أنفسهم يستحقون هذا الشرف الذى سينالهم بالزواج من ابنتها .

ولو أن أمنيس كانت موجـــودة لحظة أن أخبرت نيكوتيس زوجها بتايلاس برد الكاهن الأكبر برفض هذا الموضوع ، فلربما شعرت بسعادة أقل .

فقد قال بتايلاس فى غضب شديد : « دعيهم اذن يأخذوا حذرهم ! وســـوف يتعلمون بأنه لا ينبغى أن يعاملونا بمثل هذا النحو . فهذا الأميرس الذى يحبه الناس كثيرا ، يتظاهر فقط بالتعبد للآلهة . لو لم يكن

صديقا لتحتمس ، لكان قد طرد من المعبد منذ فترة طويلة . ولتحتم أن أكون الكاهن الأكبر ، لأن ابنه الأكبر نكو ، مازال صغير السن لينال مثل هذا الشرف .. وكلما عاش أبوه مدة أطول ، كلما كانت الفرصة متاحة أكثر ليأخذ مكان أبيه . وخلال عدة سنوات قليلة قادمة تكون فرصتى قد ضاعت » .

قالت نيكوتيس بحزم : « اذن ، لا ينبغى أن يظل أميرس كاهنا أكبر . لقد تحدثنا فى هذا الشأن عدة مرات ، ودائما ما وعدتنى بأن أكون زوجة الكاهن الأكبر يوما ما ، وأن يتولى بلكسو ذلك المنصب عندما تموت .

فأجاب زوجها : « أنت على صواب ، يانيكوتيس . ان لدى مجموعة قوية من الاصدقاء فى المعبد ، وهم يشعرون أن أميرس يشكل خطرا علينا بآرائه عن الآلهة . ودون أن تسألينى أية أسئلة ، سوف أكون الكاهن الأكبر . وسوف يتزوج بلكسو تلك الفتاة ، وهكذا يضمن أن يأخذ مكانى عند وفاتى » .

الفصل الثالث عشر

السـلالم الخفيـة

بعد مضى عدة أيام ذهب شيبرون وأموبا الى المعبد عندما كان القمر ساطعا ، ودخلا الى احدى الساحات الداخلية ، ووجدا بابا فى الحائط مفتوحا فتحة غـير كاملة . وما أن فتحا الباب حتى شاهدا أمامهما سلالم ضيقة جدا مبنية داخل الحائط .

قال شـيبرون باندهاش : « لابد انها تؤدى الى السطح . لم أكن أعلم أن هناك سـلالم تؤدى الى السطح ، لأنهم كانوا يستعملون سلالم خشبية طويلة يسندونها الى الحوائط اذا تطلب الأمر ذلك .

ــ « هيا نصعد الى أعلى ياشيبرون . سيكون من اللطيف أن نتطلع الى سـاحات المعبد من أعلى السطح فى ضوء القمر » .



تحسسا طريقهما بحذر عبر الدرجات المظلمة

ـ« أجل ، لكن لا ينبغى أن يرانا احد ، والا قتلنا على أيدى الكهنة . فغير مسموح لأحد أن يتطلع الى الآلهة من أعلى » .

قال اموبا : « سنبقى بأعلى لدقيقة أو دقيقتين. فهناك عدد قليل من الكهنة فى المعبد فى هذا الوقت من الليل ، ولن يرانا أحد اذا سرنا بهدوء » .

تحسسا طريقهما بحرص شديد فوق الدرجات المظلمة . بعد انتهاء درجات السلم ، وجد الشابان نفسيهما فى حجرة صغيرة تسع بالكاد شخصين واقفين .

قال شبيرون : « لابد ان هذه راس أحد التماثيل الحجرية ــ لواحد من الآلهد . ياله من مكان غريب ! لكننى أتساءل عن الهدف من صنعها ، لكن أنظر ، توجد فتحة هنا ! »

تطلعا الى أسفل من خلال الفتحة الموجودة بأعلى الحائط فى إحد الساحات . وكان القمر يسطع بأضوائه فى الغرفة الصغيرة من خلال فتحة فوق رأسيهما .

دفع أموبا بيده داخل الفتحة وقال : « يبدو انها تمتد مسافة طويلة الى أسفل ، لكنها تضيق » .

سحب ذراعه ونظر الى أسفل . **وقال :** « هناك فتحة أضيق فى الطرف الآخر . أعتقد ياشيبرون أن ذلك المكان هو قمة رأس أحد التماثيل . وتلك الفتحة الصغيرة فى النهاية لابد أن تكون حيث توجد الشفتان . ألا تعتقد ذلك ؟ »

وافقه شيبرون على ذلك .

واصل أموبا كلامه قائلا : « اذا كان الأمر كذلك ، فأستطيع القول بأن هذه الفتحة صنعت لتسمح للكهنة بالحديث للناس من خلال شفتى الاله ، لابد أن ذلك هو سر المعبد » .

كان شيبرون صامتا . فقد كره فكرة أن الكهنة يخدعون الناس البسطاء بمثل هذه الحيل .

قال : « لابد أن نذهب على الفور ، لقد ارتكبنا خطأ بالصعود الى هنا » .

قال امويا : « دعنى اتطلع الى الساحة من فوق السطح ، فأنا أسمع بعض الأصوات على ما أعتقد » .

ارتكزا بأقدامهما على الفتحة وتسلقا الى السطح وتطلعا الى الساحة فى أسفل .

عند قاعدة التمثال شاهدا سبعة أو ثمانية أشخاص من الكهنة تعرفا عليهم من ملابسهم البيضاء .

قال واحد من المجموعة : « أقول لك لابد من تدميره، وأنا على استعداد لقتله بيدى هاتين ، وأكاد اشعر أننى اذا فعلت ذلك فاننى أكون قد خـــــدمت الآلهة باخلاص. فأنتم تعلمون جميعا انه لا يتعبد الى الآلهة بصدق » .

لمس شيبرون أموبا بيد مرتعشة ، وهبطا بهدوء الى الغرفة الصغيرة .

قال شيبرون فى نبرة غاضبة : « انهم يخططون لقتل شخص ما فى المعبد ذاته . سوف أرعبهم حتى لا يقدموا على ارتكاب هذه الفعلة الشنعاء » .

وضع شيبرون فمه على الفتحة وصاح بصــوت

وقور : « لا تغامروا بغضـــــب الآلهة ! لا تحاولوا ايذاءه ! »

همس أموبا له : « هيا ، ياشـــيرون ، لابد أن تذهب ، فربما يكون بعضـهم على معرفة بســـــر هذا المكان ، فيمثران علينا ويقتلاننا » .

اندفع الشـابان يهبطان درجات السلم ، ومرا من الباب الذى دخلا منه ، وسارا بهدوء فى ظل الجدران حتى استطاعا أن يغادرا المعبد دون أن يلحظهما أحد . قبل أن تعطى اشارة الانذار .

كانا يخشيان أن يكون أحد قد رآهما خارج المعبد ، لذا سـارا لمسافة بعيدا عن البيت . وعندما تأكدا تماما بأن لا أحد قد تتبعهما ، عادا ثانية الى البيت ووصلاه بعد أن سارا عدة أميال خلال شوارع المدينة الضيقة . فى الطريق تكلما عن الممر السرى الذى اكتشـــفاه والمؤامرة التى سمعاها . لكن هل يجب عليهما أن يخبرا أميرس بذلك أم لا ؟ اتفقا على أنه من الأفضل أن يلتزما الصمت .

الفصـــل الرابع عشر

مــــوت نــــكو

فى اليوم التالى ، بعد شروق الشمس مباشرة ، طرق أحد الكهان باب بيت الكاهن الأكبر وطلب رؤية أميرس .

قال له : « لدى أنباء سيئة لك ، ياسيدى . ابنك ، نكو ، قد قتل » .

صاح أميرس : « نكو قتل ، لا أستطيع تصديق ذلك » .

ـــ « هذا صحيح ياسيدى ! لقد غادر البيت الذى يسكنه مع اثنين من مدرسيه الكهنة ، ليذهب وحده كالعادة الى المعبد . فقد كان منوطا به مراقبة النيران فترة الفجر . بالطبع كانت الدنيا ظلاما عندما غادر

البيت . وعندما لم يصل فى الوقت المحدد بعثنا بخادم له ، فوجده ممددا على الأرض ميتا على بعد خطوات قليلة من باب بيته ، وفى قلبه سكين مغروس » .

لم يستطع أميرس أن ينطق بكلمة . وأشار بيده بمعنى أنه يريد أن يترك وحده ، ثم جلس .

لم يكن بينه وبين ابنه الأكبر مثل ذلك الحب الذى كان بينه وبين شيبرون ومايسه . لكن نبأ موته المفاجىء كان ضربة شديدة بالنسبة له ، وجلس أميريس دون حراك لعدة دقائق ، حتى سمع صوت بكاء من داخل البيت ، عرف من خلاله أن زوجته سمعت الأنباء .. توجه على الفور الى غرفتها وحاول أن يواسيها ، لكن دون فائدة .

كادت أمنيس أن تجن من الحزن . فى حين تلقى شيبرون ومايسه الأنباء بشكل أكثر هدوءا ، لأنهما كانا لا يريان أخاهما الا نادرا خلال السنوات الثلاث الماضية .. كما أنه كان مشغولا للغاية بدراساته فى المعبد ، ولم يكن يبدى اهتماما بالطفلين فى المناسبات القليلة

التى يزور فيها البيت . لكنهما كانا حزينين جـــــدا ومندهشين لوفاته أكثر من حزنهما لافتقاده .

توجه أميرس على الفور الى بيت نكو لمعرفة مزيد من الأخبـــار . ولم يتلق أى شىء كان من الممكن أن يساعده . لقد ظل نكو فى المعبد الى وقت متأخر فى الليلة السابقة لموته ، ولم يعد الى البيت الا عندما نام الآخرون الذين يعيشون معه . ولم يره أحد عند خروجه مبكرا . ولم يسمع صوت صراع أو صرخة استغاثة . من المحتمل أن شخصا ما كان مختبئا بالقرب من الباب وضربه فى ظهره بالسكين .

كان الرأى السائد سواء هناك أو فى المعبد أن أحد الخدم الذين يكرهونه ، قد قام بهذه الفعلة . ولما كان هناك الكثير من الخدم ، ولم يكن أحد منهم يحبه حقيقة، فقد كان من الصعب تحديد أى واحد من الخدم يكون قد قتله .

عندما ذهب شيبرون الى المعبد آخر النهار سمع كل أنواع الحكايات ، منها سماع صوت وقور فى الليلة

السابقة صادر من رأس أحد الآلهة . فساد اعتقاد بأن جماعة من اللصوص قد دخلوا المعبد بقصد سرقة المجوهرات المقدسة وجرار الذهب الموجودة أمام الآلهة . وحتى يرعبوا الكهنة الذين يحرسون تلك الأشياء الثمينة أصدروا تلك الأصوات ، لكنهم أكتشفوا وفروا من فوق السور قبل أن يقبض عليهم .

بعد أن عاد شيبرون بتلك الأنباء ، اتفق هو وأموبا أن الواجب يحتم عليهم اخبار أميريس بالقصة الحقيقية لما حدث ليلة الأمس . بعد انتهاء وجبة العشاء استدعى أميرس شيبرون الى غرفته .

ــ « هل سمعت أى شىء فى المعبد ، ياشيبرون، عن تلك الأمور الغريبة التى حدثت الليلة الماضية ؟ . ربما يكون هؤلاء اللصوص هم الذين قتلوا أخاك . هل سمعت عمن اكتشف هؤلاء الرجال أولا ؟ بعضهم يقول انه بتايلاس ، لكن لماذا يتحتم عليه أن يكون هناك فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، هذا ما لا أعرفه . كان هناك أيضا أربعة أو خمسة كهان ، لكن الشىء الغريب

أنه لم يتواجد أحد منهم بالمعبد اليوم أرسلت فى طلبهم لكنهم جميعا قد غادروا المدينة لسبب أو لآخر » .

ـــ « لم أسمع شيئا يا أبى ، لكننى أستطيع أن أقول لك الكثير » .

روى شيبرون لأميرس كيف أنه وأموبا قد ذهبا للمعبد فى الليلة السابقة ، وصعدا السلم الموجود خلف تمثال الاله ، وسمعا مؤامرة لقتل شخص مجهول .

قال أميرس بعد أن أستمع الى القصـــــة كلها : « هذه حكاية غريبة جدا ، ياشيبرون . لابد أن يكون بتايلاس وأصدقاؤه هم الذين سمعتهم يتكلمون ، والا لما كانوا غادروا المعبد فجأة هذا الصباح . ليست لدى فكرة عمن كانوا يخططون لقتله، رغم أننى أتوقع أن يكون شخصا مهما جدا » .

قال شيبرون : « ألا تعتقد يا أبى ، أنه كان نكو ؟ هذا ما فكرنا فيه أنا وأموبا عندما ناقشنا ذلك بعد ظهر اليوم » .

قال أميرس بعد لحظة تفكير : « أنا لا أعتقد ذلك ، انا لا أعتقد أن اربعة أو خمسة رجال يجتمعون لقتل شخص فى مثل مرتبته البسـيطة ، لابد أن يكون شخصا أكثرا أهمية منه » .

قال شيبرون : « أنت تعرف ، يا أبى ، أن بتايلاس يامل فى أن يصبح الكاهن الأكبر يوما ما . ربما كان نكو عقبة فى طريقه . ومن المؤكد أن الاختيار كان سيقع عليه حسب التقاليد التى تقضى باختيار الابن الأكبر للكاهن ، اذا كان مناسبا أكثر من غيره . ونكو كان يدرس بجدية ، وكان عمره مناسبا تماما ليخلفك ككاهن أكبر » .

ـــ « كلا . اذا كانوا قتلوا نكو . فلقد فعلوا ذلك ، لأنهم اعتقدوا أنه ممن سمعهم . سوف يعودون بعد عدة أيام عندما لا يجدون أى شىء قد قيل عنهم . لكن لا ينبغى عليك أن تذهب الى المعبد الا فى الأوقات التى تتطلبها تأدية واجباتك .

فى اليوم التالى لتشـــــييع جثمان نكو الى مثواه الأخير خارج المدينة فى الجبال ، تلقت مايسه ووالدتها رسالة من بوباسطس . فمنذ عدة شهور سقطت القطة المقدسة هناك صريعة المرض وماتت هذه القطة التى يكن لها كل المصريين التقديس . ومهمة العثور على قطة أخرى تحل محلها مهمة صعبة . ليس من المهم ان تكون تلك القطة جميلة وذات حجم كبير ، لكن لابد أن تحمل علامات مميزة . دون هذه العلامات لا يمكن اختيار أى قطة ، حتى لو أضطر الكهنة الى الانتظار سنوات . لذا ، فعندما ماتت القطة المقدسة انطلقت مجموعات عديدة من بوباسطس للبحث فى كل مدن مصر عن قطة تحل محلها .

وحيثما كان يتوقف الكهنة أثناء رحلتهم ، كانت تقدم اليهم قوائم بكل أنواع القطط من حيث الحجم والشكل واللون ، يعتقد أنها مناسبة . وعندما وصلت مجموعة

من الكهنة الى طيبة ، ارسلت لهم امنيس خطابا به اوصاف بوسى ، قطة مايسه الجميلة . وطلبت منهم الحضور لمعاينة القطة . ورغم ان القاعدة كانت تقضى بأن ترسل القطط اليهم فى اقفاص لمعاينتها ، الا ان الكهنة كانت لهم رغبة فى رؤية زوجة رجل مهم للغاية ، وهو الكاهن الاكبر لمعبد أوزيريس .

استقبلتهم امنيس بحفاوة بالغة ، وأخذتهم بنفسها لمشاهدة بيت حيوانات مايسة واسعدها تقريرهم للغاية ، فلم يروا قطة فى مثل جمال بوسى ولا كبر حجمها ، ورغم ان العلامات التى تميزها لم تكن مطابقة تماما ، الا انها كانت تماثل كثيرا علامات القطة المقدسة الميتة . ولم يستطيعوا أن يقرروا شيئا بطبيعة الحال ، الا بعد عودتهم الى بوباسطس ، وفحص كل التقارير التى ستحضرها مجموعات الكهنة الأخرى بعد عودتهم من رحلاتهم .

مضت عدة شهور ، ثم وصلت رسالة تفيد بأنه قد تقرر من قبل الكاهن الأكبر بأن بوسى وحدها تستحق شرف أن تكون القطة المقدسة لبوباسطس . وقررت الرسالة بأن الكاهن الأكبر ومعه عدد كبير من الكهنة والخدم سوف يسافرون من بوباسطس عبر النيل لاستلام القطة والعودة بها الى المعبد .

سعدت أمنيس سعادة بالغة ، لأن ذلك كان بمثابة شرف كبير ، يسعد أى مصرى باختيار أحد حيواناته لتكون مقدسة من قبل الآلهة .

الفصل الخامس عشر

قطـة بوباسـطس

لاحظ شيبرون ومايسة لعدة أيام أن الطيور تبدو خائفة من خطر ما ، لأنها ظلت مختبئة بين الشجيرات .

قال شيبرون : « لابد أن يكون هناك شيء ما ، حيوان مفترس يخيفها ، ربما . انظرى ! هناك ريش كثير على الأرض حولنا ، وبعضه عليه آثار دم . سوف أقوم أنا واموبا غدا صباحا بالمراقبة ومعنا سهامنا وحرابنا ، ونرى اذا كان بامكاننا أن نقتله أو نطرده بعيدا . لو استمر هذا الوضع فسوف نفقد طيورنا » .

صباح اليوم التالى توجه شيبرون واموبا الى الحديقة بعد طلوع الفجر مباشرة واختفيا وسط الأشجار . لم يحدث شيء لفترة من الوقت . ثم فجأة

دوت صرخة مخيفة مفزعة ، وشـــاهدا طائرا كبيرا يهبط ويقبض على احدى البطات الصغيرة .

في اللحظة التي قفز فيها الشـــابان واقفين على أقدامهما ، كان الطــــائر قد ارتفع في الهواء بالبطة الصغيرة ، فصوبا سهامهما ناحيته ، اصاب ســـهم أموبا الطائر بين جناحيه فسقط ميتا . ورغم ان السهم الذى صوبه شيبرون كان سديدا، الا أنه اصطدم بفرع شجرة فتحول جانبا .

أطلق أموبا صيحة فرح وقفز من بين الشجيرات . لكنه توقف والتفت ، عندما سمع صرخة فزع ندت عن شيبرون . ومما أثار دهشته أنه رأى مسحة من الرعب الشديد تكسو وجه رفيقه ، الذى وقف كما لو أنه تمثال من حجر .

فقال أموبا : « ماذا حدث ، ياشــيبرون ؟ ماذا حدث ؟

قال شيبرون بصوت خفيض : « ألا ترى ؟ »

فاجاب اموبا وهو يتلفت حـــوله : « أنا لا أرى شيئا » .

ــ« سهمى ! لقد اصطدم بفرع شـــجرة ثم ارتد ناحية بيت القطة . لقد رأيته يسقط هناك . لابد أننى قتلتها » .

قبل ذلك بعامين ، كان من الممكن أن يضحك أموبا لاصابة قطة بسهم ، لكنه وقد قضى فترة طويلة بمصر ، فقد كان يعلم نتيجة فعلة كهذه . فأن تقتل قطة ، فان هذا يعد أفظع شىء يمكن أن يرتكبه مصرى . وبالتالى فان القاتل من الممكن أن يمزق اربا بواسطة الجماهير .

قال اموبا : « هناك شىء واحد فقط من الممكن أن نفعله ، ياشيبرون لابد أن نحفر حفرة فى الأرض ونخفى فيها القطة » .

ــ« هل ترى أن ذلك أفضل شىء ، يا أموبا ؟ الا ترى من الواجب أن اذهب لأبى وأخبره » .

ــ « لا أعتقد ذلك ياشيبرون . فبغض النظر عن أى شىء ، فستكون تلك أنباء مزعجة جدا بالنسبة له

ككاهن أكبر ، بل ومن الممكن أن يرى أن من واجبه أن يسلمك للكهنة الذين سرعان ما يأمرون بقتلك . دعنا اذن نحتفظ بهذا الأمر سرا ».

اتجه أموبا الى بيت القطة بهدوء ، فوجدها ملقاة على الأرض ميتة سحب السهم من جسدها ، وأخفاها تحت عباءته وخرج . ثم شق طريقه وسط الشجيرات وحفر حفرة عميقة فى الأرض ، ووضع جسد القطة فيها وأعاد التراب مكانه وسواه بعناية على السطح .

وعاد الى بيت القطة ثانية ونظف بعنـــــاية آثار الدماء من على الأرض . أما السهم الذى استخرجه فقد غسله فى مياه البحيرة .

قال أموبا : « هيا ، ياشيرون ، كن شـــجاعا ! سأترك باب بيت القطة مفتوحا ، وعندما يكتشفون أنها ليست بالداخل سيظنون انها تتجول بالخارج . يجب أن نعتبر هذا الأمر وكأنه لم يكن » .

فردد شيبرون : « كيف يمكنني ذلك ؟ الأمر بالنسبة لك ، مجرد قطة فقط ، أما بالنسبة لى فهى المخلوق الذى قتلته و هذا جرم كبير ، يفوق أى جرم آخر . فأن تقتل قطة فهذا اثم يفوق اثم قتل رجل بعشر مرات .

أجاب امويا : « ان القطة قطة . وانا اقدر مشاعرك رغم أن المسألة بالنسبة لتفكيرى مجرد حماقة . هناك آلاف القطط فى طيبة ، دعهم يختارون واحدة أخرى . وأنا أدرك أن هناك خطرا سيقع علينا لو اكتشف الكهنة اننا قتلناها ، ليس أمامنا أمل » .

قال شيبرون : « ليس لك شأن بذلك . وليس هناك مبرر أن تشرك نفسك فى خطر يخصنى » .

ــ « كلا ، ياشيبرون ، كلانا مشترك فى هذه العملية ، فقد كان من الممكن أن يرتطم السهم الذى رميته أنا بفرع الشجرة ، كما حدث معك . ليس مهما ما أعتقده أنا بالنسبة للقطة ، بل المشكلة تكمن فى الناس الذين يعتبرونها الها . ولهذا لا ينبغى علينا أن نقدم لهم أى دليل ، يجعلهم يظنون أن لنا صلة بهذا الموضوع » .

قال شيبرون فجأة : « سأذهب لأخبر والدى ، وافعل ما يقوله لى ، فلا طاقة بى لتحمل مثل هذا السر » .

ـــ « عظيم جدا ، ياشيبيرون ، سأذهب انا لمقابلة جيثرو . بالطبع لن يعنى له رمى قطة بسهم أكثر مما أعنيه ، لكنه سيقدر الموقف . فلو تحتم علينا الهرب فسوف يأتى معنا . أعتقد أنه لا يضايقك أن أتحدث اليه ، يمكنك أن تثق فيه بالنسبة لحياتك » .

أخفض شيبيرون رأسه وسار فى اتجاه البيت .

عندما دخل البيت توجه مباشرة الى حجرة والده. أغلق الباب خلفه ثم ركع على ركبتيه أمام والده ولمس الأرض بجبهته .

قال اميرس وهو ينحى كتابه جانبا ويقف على قدميه : « ما هذا ، ياشيبيرون ؟ لماذا تركع أمامى ، يابنى ؟ قل لى ، ماذا حدث ؟ »

رفع شيبيرون رأسه ، لكنه لم يستطع أن يتكلم .

كرر أميرس سؤاله وهو منزعج تماما : « ما الأمر يابنى ؟ »

ــ هذا الصباح ، ذهبت أنا وأموبا ومعنا سهامنا ورماحنا ، لنرمى طائرا مفترسا ، قتل بعض البطات الصغيرة منذ فترة وحلق الطائر الكبير فوقنا ، فرميناه سويا . أصابه سهم أموبا وقتله ، أما سهمى فقد اصطدم بفرع شجرة وارتد جانبا وسقط داخل بيت القطة ، فقتل « يوسى » ، التى اختيرت منذ يومين فقط لتحل محل القطة المقدسة فى معبد بوباسطس .

اكتسى وجه الكاهن الأكبر بمسحة من الخوف المرعب وتراجع خطوتين بعيدا عن ابنه .

وقال : « يالك من شاب تعس ، فالملك نفسه لا يستطيع أن ينقذ ابنه من غضب الجماهير لو أنه فعل شيئا كهذا . »

قال شبيرون : « ليست حياتى هى ما أفكر فيها ، يا أبى ، لكن فى العار الذى سيلحق بك وبأمى وأختى » .

أخذ أميرس يتمشى فى الحجرة جيئة وذهابا وهو يفكر بعمق قبل أن يتكلم ثانية ، **ثم قال أخيرا وبصوت هادىء :** « يجب أن نتحمل عارنا ، انما أنت الذى يجب أن نفكر فيه ، ان الذى فعلته أفظع شىء قد فعلته ، رغم أنك كما تقول ، لم تكن تقصد فعل ذلك . لكن ذلك لن يعنى شيئا بالنسبة للناس ، فى حين أن الآلهة ستقدر ذلك . والسؤال هو ، ما الذى ينبغى عمله ؟ اذا حدث واكتشف جسد بوسى » .

ـــ « لن يحدث ذلك ، يا أبى ، لأن أموبا دفن القطة فى حفرة عميقة بين الأشجار » .

فقال أميرس : « لقد فعل أموبا الصواب . سيكون لدينا الوقت لنفكر » .

ـــ « ما قيمة الحياة بالنسبة لى الآن .. ؟! »

أوقف اميرس ابنه من الكـــلام برفع يده وقال : « ذلك لا يقلقنى الآن ، ياشيبرون . فأنا لا أنظر الى الأمور بنفس الطريقة التى ينظر اليها الآخرون . يكفى ان أقول لك ، بأننى لا أعتقد بأن ما ارتكبته يعد جرما

فظيعا . وينبغى أن نتدبر أفضل شىء يمكن فعله . فلو أنك هربت الآن ، فسيكون بامكانك أن تصــــل خارج البلاد قبل اكتشاف تلك الفعلة . لكن من ناحية أخرى، من المحتمل أن يظن الناس بأنك السبب فى وفاة القطة، وقد هربت من الخوف . ولو بقيت هنا ، فقد يرى الناس أنه لا دخل لك بالموضوع . اذهب الآن ، وانضم الى أمويا ، وأبق فى غرفتك كالمعتاد . سوف أراك عندما أتدبر أفضل ما يمكن أن نفعله . كن شجاعا ، يابنى ، فربما يمر الخطر ! » .

الفصــل السادس عشر

بدايــة البحــث

عاد شيبرون وكأنه فى حلم . كان مندهشا من كلمات أبيه الحانية . وقد كان يتوقع تماما ان يطرد من البيت فى غضب .

وجد جيثرو واموبا فى حجرته .

قال جيثرو : « أنا فى منتهى الحزن لسماع ما حدث ياسيدى . وبالطبع فان فكرة اى اذى بسبب قتل قطة تعد حماقة بالنسبة لى ، لكننى أعرف الخطر الذى يحيق بك بسبب ذلك . لقد حضرت الى هنا مع اموبا ، لكى أقول لك بأنه يمكنك الاعتماد على اذا كنت على استعداد للهرب .

فرد شيبرون : « أشكرك يا جيثرو . فى الوقت الحاضر لا أعرف ماذا سأفعل . لقد قابلت والدى وأخبرته بكل شىء ، وسوف يقرر ما سوف أفعله » .

قال أموبا : « لن يتخلى عنك ، أعتقد انه لن يتخلى عنك ، فأبوك رجل حكيم ومثقف ، ويعلم أن الآلهة لا يمكن أن تغضب حقا ، لأنها تعلم أنك لم تقصد شرا » .

دخل خادم الحجرة وأخبر شـــيبرون وأموبا أن أميرس يرغب فى الحديث اليهما .

قال عندما وقفا أمامه : « لقد أرسلت لكما أنتما الاثنين ، رغم أن أموبا لم يرتكب اى خطأ ، ذلك ان أهالى طيبة سوف يتنون عدة آراء مختلفة » . وتوقف عن الكلام ، كما لو أنه توقع ردا ، **فقال أموبا بهدوء :**

ــ « أنا على استعداد للبقاء مع شيبرون ، سواء قررت أن تعلن الأمر على الملأ صراحة أو فضلت أن نحاول الهرب » .

أحنى أميرس رأسه فى أسى ثم نظر الى ابنه .

فقال شيبرون : « أبى ، رغم أننى على استعداد لطاعتك فى ذلك الأمر أو أى أمر آخر ، الا أننى أرجوك أن تسمح لى بتسليم نفسى . فأنا كاهن ومن واجبى أن افعل ذلك » .

قال اميرس : « لقد توقعت ذلك منك ، ياشيبرون وأنا سعيد لأسمعك تتحدث على هذا النحو . ولو اننى اعتقدت كما اعتقدت أنت أن قتل قطة عمل فظيع ، لكنت قلت لك سلم نفسك على الفور . لكننى لا أرى الأمر كذلك » .

تطلع شيبرون الى والده فى دهشه . فهو لا يكاد يصدق انه قد سمع كلماته حقا .

ـــ « لطالما كنت تسألنى عن الآلهة ، يا شيبرون ، ولم اعطك اجابة . أما الآن فيجب على أن افعل . لابد أن تفهم أن آلهتنا هى مجرد تماثيل فقط تم اختيارها لتظهر بطريقة أو بأخرى مظاهر قوة الاله الواحـــــد العظيم . هذه التماثيل لا حياة فيها ، كما يعتقد معظم الناس . وعندما نقوم نحن الكهنة بالتعبد أو تقـــديم

العطايا فى المعبد ، فنحن لا نتعبد أو نهب أى شىء للتماثيل ، بل الى الاله الواحد الأعظم الذى تشمل قدرته كل شىء ، وهكذا ، ترى أنه ليس هناك خطأ فيما نقوم به فى المعابد ، رغم أن هذا المعنى غير مفهوم بالنسبة للكثيرين . فالعامة يتعبدون للتماثيل ذاتها ، أم نحن فلا » .

ثم واصل كلامه : « وهكذا يابنى ، ليس بك حاجة لأن تخشى من انك اغضبت الآلهة بقتلك لهذه القطة . وبوباسطس نفسها مجرد تمثال من الحجر تظهر احدى قدرات الاله الأوحد الأعظم .

صاح شيبرون وهو يركع على ركبتيه امام اميرس ويقبل يده : « اوه ، ياأبى ! كم انت عظيم . لقد وهبتنى الحياة . انا على استعداد الآن للهرب ، اذا كنت ترى ذلك افضل ، أو ابقى هنا وأواجه الخطر » .

عندما عاد شيبرون وأموبا الى حجرتهما لم يتكلما عن قتل القطة ، أو الخطر الذى كان يتزايد ، لكن فيما قاله أميرس لهما .

قال شـــــيرون وهو فى طريقه الى حجرته :

« شىء رائع . الآن عرفت الحقيقة فقد كان من الصعب على أن أصدق بأن كل هذه التماثيل الموجودة فى المعابد آلهة . لقد أتعبنى التفكير فى ذلك الأمر . لم أستطع أن أتصور أن تكون آلهة حقيقية ، رغم أننى لم اشك فى ذلك أبدا . يخيل الى الآن أن كل الناس يعيشون فى نوع من الحلم ، لماذا ينبغى على كل هؤلاء فى مصر الذين لديهم الكثير من المعرفة يسمحوا لعقولهم أن تظل فى مثل هذا الظلام » .

عندئذ اندفعت روث فجأة داخل الحجرة .

ــ « لقد اختفت بوسى ! عندما عدنا من نزهتنا توجهنا لرؤية الحيوانات ، فوجدنا باب بيت القطـــــة مفتوحا ، والقطة قد اختفت . ومايســـة تطلب منكما الحضور فورا للبحث عنها . لابد أن أجمع كل النساء فى البيت ونشترك فى البحث » .

سرعان ما انتشرت أخبار اختفاء بوسى بين خدم البيت . وتوقفت حركة البيت ، وبدأ كل عبد ورجل

وامرأة وفتى وفتاة ، البحث فى الحديقة ، يفتشون كل شجيرة وشجرة وينادون على القطة الضائعة .

خرج أميرس نفسه ، وعندما سمع أن القطة لم يعثر عليها ، أمر الرجال بالبحث حول البيت . وأرسل بعض النسوة الى جيرانه ليخبروهم بما حدث ويطلبوا منهم البحث فى حدائقهم » .

استمر البحث طوال الليل دون جدوى . لأن أموبا كان اخفى بعناية شديدة كل معالم ما قام به .

وفى صباح اليوم التالى ساد شـــــعور بالحزن والخوف .وبدأ الناس يتهامسون ، بأنه ربما يكون كلب قد قتلها ، أو أن تمساحا كان يشرب من البحيرة قد افترسها . ولم يخطر ببال أحد للحظة ، بأن رجلا هو الذى قتلها ، لأنه لا يوجد مصرى يجرؤ على مثل هذه الفعلة .

الفصل السابع عشر

فى المزرعـــة

مرت الأيام حتى ساد اعتقاد عام بأن القطة ماتت . وحزن أميرس وعائلته وكل فرد فى البيت على فقدانها كما كانت تقضى التقاليد بذلك . فالبيت كله ، وبكل من يعيش فيه قد شمله هذا العار .

وبمرور الأيام زاد الشعور بالكراهية ضد العائلة، فكانت الجماهير تحتشد حول البيت ، وتتصاعد منها صيحات الكراهية من وقت لآخر حتى عندما كان الكاهن الأكبر يمر خلال الحشد فى طريقه الى المعبد ، كانت ترتفع الأيادى الغاضبة تجاهه ، ورغم ذلك لم تجرؤ يد أن تمتد اليه . وحاول شيرون أكثر من مرة أن يقنع أباه بالسماح له أن يخبر كل الناس بالحقيقة .

ـــ « أنا لست خائفا من الموت ، يا أبى . لابد أن تفكر فى مايسه وأمى . اننى أخشى الآن من ذلك الخطر الذى يحوم فوقكم اكثر من خوفى من الموت » .

لكن أميرس لم يكن يصغى لهذا الكلام .

ـــ « أنا لا أدعى أنه ليس هناك خطر ، ياشبيرون لقد ظننت فى البـــداية أن الأمر من الممكن أن ينسى سريعا ، لكننى كنت مخطئا . ان سبب كل هذه المتاعب هو اختيار بوسى لتكون القطة المقدسة لمعبد بوباسطس .. وقد استغل بعض أعدائنا ذلك الوضـــع لاثارة كراهية الناس ضدنا . ربما أكون مخطئا ، لكن أخشى ما أخشاه أن يكون بتايلاس هو عدونا . وأنت تعرف أنه عاد الى طيبة ، ويبدى الآن مظاهر صداقة أكثر من ذى قبل . ولا أستطيع أن أقرر عما اذا كان واحدا من المتآمرين الذين سمعتهم تلك الليلة فى المعبد . لقد فكرت فى البداية أنهم يخططون لقتلى أنا . والآن أنا على يقين من ذلك . فبتايلاس يستطيع بســـهولة أن يجعل الناس تصدق أنى على معرفة بما أصاب القطة

المقدسة . لقد اقترح جيثرو على بالأمس ان ينقل جسد القطة ويخفيه بعيدا عن البيت تحت بعض الأحجار . لكن ذلك ، على ما أعتقد يظل أمرا بالغ الخطورة » .

لم يخبر أميرس شيبرون بكل الحديث الذى دار بينه وبين جيثرو .

فقد قال له : « اسمع ياجيثرو . بالنسبة لنفسى فأنا لا أهتم بأى شىء . فأنا لم أوذى أحدا ، ووهبت حياتى كلها للفقراء . لكن يجب على أن أنقذ شيبرون ومايسه ، من المحتمل أن العامة فى سورة غضبهم قد لا يؤذون امرأة ، لكن من الممكن أن تقع مايسه بين أياد شريرة . فى هذه الحالة ، لا أستطيع أن أفعل لها أى شىء . وأنا أعتمد عليك يا جيثرو فى انقاذ شيبرون وأموبا ، لأننى أخشى عليهما من الخطر . ولذلك ، لو حدث شىء ، فيجب أن تهربوا . أنا أعلم أن حبك لابن مليكك الراحل ، سوف يجعلك تواجه أى خطر لحمايته، فقم بحماية شيبرون أيضا ، ورعايته كما تقوم برعاية أموبا » .

فاجاب جيثرو : « اعدك بذلك ياسيدى ، من كل قلبى . فهو يعامل أموبا كشقيق له منذ اللحظة الأولى التى جئنا فيها الى هنا ، سوف أحميه كما لو كان ابنى » .

قال اميرس : « أنا متأكد تماما من ذلك ، واثق فى رعايتك له . لقد أودعت مبلغا من المال عند رجل يدعى شيجرون . وشيبرون يعرفه ويمكنك أن تثق فيه .. اره هذا الخاتم وسوف يقوم باخفائكم لعدة أيام ، حتى تستعدوا لبدء رحلتكم . يجب أن ترحلوا جنوبا ، لأن الناس لن يفكروا فى البحث عنكم أبدا فى هذا الاتجاه . سوف يعتقدون أنكم ستحاولون الهرب اما عبر البحر أو الصحراء الشرقية ، أوربما تحاولون الوصول الى إهل المنطقة الغربية ، ثم تهربون بمساعدتهم عبر البحر الأعظم » .

وبعد مضى يومين ، أرسل أميرس كلا من شيبرون وأموبا الى المزرعة البعيدة وطلب منهما البقاء هناك حتى يرسل لهما .

قال شيبرون : « الن تأتى انت معنا ايضا ، حتى تنتهي تلك المتاعب ، يا ابي ؟ » .

ــ « أنا لا اســتطيع التخلى عن واجباتى ، ياشيبرون ، ولن يكون ذلك فى صالحى ، اذا قمت بذلك . فأنا على يقين من أن أعداءنا الذين لا يجرؤون على مهاجمتنا بشــكل علنى ، يثيرون كراهية الناس ضدنا . تذكر أننى وضــعتك تحت رعاية جيثرو ، وسوف تجد فى أموبا صديقا وأخا . والآن وداعا ، يابنى . وأرجو أن يباركك ويرعاك الاله الأعظم المهيمن على كل شىء ! » .

وهكذا انطلق أموبا وشيبرون فى تلك الليلة بهدوء عبر شوارع المدينة ، يتبعها المخلص جيثرو عن قرب فى طريقهم الى المزرعة . وفى الظلام ، شاهدوا ملامح غير واضحة لخمسة او ستة أشخاص . كانوا يحتمون فى ظل الأسوار ، ويتبعون خيولهم عن بعد . التفت اموبا خلفه ونادى جيثرو ليكون الى جواره .

قال : « هناك من يتبعنا ، يا جيثرو » .

فقال جيثرو : « نعم ، ياسيدى ، فقد لاحظت ذلك فعلا . لكننا سنتعامل معهم فيما بعد . لن يجرؤوا على مهاجمتنا الآن ، لأننا مسلحون جيدا ، ولقد ارسلوا فقط ليتأكدوا من أننا لن نهرب » .

واصلوا سيرهم ، حتى وصلوا الى المزرعة .. واختفى الرجال الذين تبعوهم فى الظلام . وظلوا عدة أيام فى هدوء ، فى حين كان جيثرو يذهب كل يوم الى المدينة ليعرف ما كان يحدث .

الفصل الثامن عشر

العثـور على القطـة

مساء اليوم الخامس لهم فى المزرعة ، وصـــل جيثرو فجأة الى البيت تقفز الشـــابان واقفين على أقدامهما عندما دخل ، لأنهما شعرا بأن شيئا فظيعا قد حدث . كان وجهه مغطى بالدماء ويتكلم بالكاد لأنه جرى مسافة ستة أميال ، وهى المسافة بين المزرعة والمدينة دون أن يتوقف ليأخذ نفسه .

قال : « بسرعة ، ياسيدى ! ليس هناك دقيقة لكى نضيعها . كل شىء قد انكشف ، ولسوف يكونون هنا حالا للبحث عنا » .

فصاح شيبرون : « ماذا عن أبى ؟ »

ــ « سأخبرك عنه فيما بعد ياسيدى . ليس هناك

وقت للكلام ، لابد من تنفيذ اوامره . ايوجد أحد من الذين تبعونا الى هنا ؟

ــ « واحد منهم جالس خارج البوابة . لم ار أكثر من واحد منذ أن حضرنا الى هنا !» .

فقال جيثرو وهو يقبض على هراوة ضخمة من ركن الغرفة : « خذا رمحيكما واتبعانى » .

كان الظلام لحظتها قد بدأ يتسلل ، وبينما كان جيثرو يمر عبر البوابة هو وصاحباه ، اقترب الرجل الجالس عند البوابة ليرى من هم . ودون كلمة قفز جيثرو الى الامام وانهال بهراوته على راسه بكل قوته، فسقط على الأرض دون صوت .

قال جيثرو وهو يضحك عندما انطلق عدوا الى المدينة : « لن يكون بامكانه أن ينبه الآخرين » .

لم يسلك الطريق المعتاد ، لكنه جرى عبر الحقول تجاه سفح الجبل القريب من المدينة .

فساله اموبا اخيرا : « الى اين انت ذاهب ؟ » .



وانهال جيثرو بالهراوة على راسه

ــ « أنا ذاهب الى شيجرون ، فقد اتفق معه أميرس على اخفائكما فى الوقت الحاضر » .

ســـرعان ما وصـــلوا الى البيت القائم عند أسفل التل . تقدم جيثرو وطرق الباب ، فخرج اليه خادم . **قال له جيثرو :** « اعط هذا الخاتم لسيدك ، وقل له اننى يجب أن أتحدث اليه » .

لم تمض دقيقتان أو ثلاثة حتى خرج شـــيجرون نفسه والخاتم فى يده .

قال عندما عرف الســـبب فى مجىء جيثرو : اتبعنى ياسيدى . لقد أعددت كل شىء ، فقد قال لى أميرس انه باستطاعتى أن أثق فى الرجل الذى يحضر هذا الخاتم » .

قادهم شيجرون داخل البيت وخرجوا من باب آخر فى مؤخرة البيت . فوجدوا أنفسهم فى الخلاء مرة أخرى ، وتطل عليهم صخرة عالية ، تقدمهم شيجرون لمسافة ما ، ثم توقف عند فتحة فى نفس تلك الصخرة .

وقال : « هذا المكان حفر لرجل ثرى من طيبة منذ عدة أعوام كان ينوى أن يكون مقبرة له ولعائلته . ولا أدرى ماذا حدث له ، اذ أن هذا المكان لم يستخدم على الاطلاق . لقد قمت سرا بتخزين بعض الأشياء التى قد تحتاجون اليها ، وأرجو لكم اقامة مريحة » .

أراهم شيجرون كل شىء ووضـــع مصباحه على المنضدة **وقال :** « لما كنت لا أعرف موعد حضوركم ، فبالتالى لم أستطع اعداد بعض الطعام لكم ، لكننى سأحضر لكم بعض الطعام » .

قدم له شيبرون الشكر ببضع كلمات قليلة ، ولم يستطع قول المزيد لأنه كان حزينا للغاية . وعندما رحل شيجرون التفت **الى جيثرو وقال :** « والآن يا جيثرو ، قل لى كل شىء ، هل مات أبى ؟ »

فرد جيثرو : « لقد مات فعلا ، ياشيبرون . لقد قتل والدك النبيل على يد الجماهير المجنونة بالغضب تغذيهم كراهية الكهنة .

وواصل كلامه : « كنت فى الحديقة ، عندما سمعت ضجة خارج البوابة . وعندما وصلت الى هناك اندفع جمع من الناس الى الحديقة . وبمجرو أن وصلوا الى البيت **خرج اليهم والدك وقال** : « أيها الناس الطيبون ماذا تريدون ؟ » .

ولزم الذين كانوا يقفون أمامه الصمت للحظة ، أما الذين كانوا يقفون خلفهم فقد أخذوا يصيحون : « أين القطة المقدسة ؟ لابد أن نجدها » .

فاجاب اميرس : « يمكنكم أن تفتشوا المكان اذا اردتم كل ما أرجوه منكم فقط ألا تدخلوا البيت . فنساء عائلتى ونساء أخريات موجودات بالداخل ، واقسم لكم بشرفى أن القطة ليست هنا ، حية أو ميتة » .

تصايحوا : « فتشـــوا فى الحديقة ! » . كان بعضـــهم يصطحب كلابا معه . فبدأت أشعر بالخوف فطلبت من أحد رجالنا أن يسرع فى طلب الجنود ، ثم تتبعت الحشد .

وفجاة شعرت بيد على كتفى ، وعندما ، التفت

رأيت أميرس . **فقال لى بصـــوت هادىء** : « تذكر أوامرى ، ياجيثرو » .

انفجرت صيحة غضب من الحشد ، فتيقنت أن أحد الكلاب قد عثر على القطة الميتة . وسمعت صيحات تقول : « لقد قتلت القطة » . واندفع الحشد نحونا . فقال أميرس : « اهرب يا جيثرو ! هذا أمرى الأخير » .

لم أستطع أن أطيعه فى تلك اللحظة . فقد رأيت فى عيون الحشد غضبا جامحا ، ممتزجا برغبة مجنونة فى القتل . ووقعت على الأرض عدة مرات ، لكننى كنت أنهض فى كل مرة . ثم خيل لى أننى سمعت أوامر والدك الأخـــيرة وكأننى فى حلم القيت بنفسى فوق الحشد المتصارع أمام الباب ، لكن تأكدت أنه لا حول لى ولا قوة .

كان والدك ملقى على الأرض ميتا تكسوه مسحة الهدوء والسكينة التى كانت مرتسمة على وجهه عندما تحدث الى . وعندما اندفعت خلال البوابة رأيت الجنود لكن الوقت كان قد فات . فانطلقت على الفور لأحمل لكم الأنباء ، ولكى أساعدكما على الهرب » .

جلس شيبرون يبكى ، أما أموبا فقد ذهب ووقف الى جواره والدموع فى عينيه ليواسيه .

بعد مرور عدة دقائق وصل شيجرون ومعه بعض الطعام .

قال جيثرو : « سأخرج الى هناك ، لأرى ماذا يحدث وربما يكون من الأسلم أو نبدأ على الفور ، من أن نظل هنا .

قال شيجرون : « لكن لايمكنكم المضى بهيئتكم هذه فشعرك الأشقر وعيناك الزرقاوان معروفة لأهل المدينة . ولابد أن أصبغ شعرك ووجهك ليكون فى لون سمرتنا ، وأعطيك ملابس مصرية » .

خلال نصف ساعة أصبح جيثرو بمساعدة شيجرون يبدو مثل أى مصرى من أبناء طيبة . وتوجه الى المدينة ليعرف ماذا حدث .

كان يظن أنه لن يبقى طويلا ، ويعود بأسرع ما يمكن . لكن اليوم مر وجاء الليل ولم يعد . وأخيرا بدأ الشابان يشعران بالخوف من أن أمرا سيئا قد وقع له .

الفصل التاسع عشر

مايســــة

وفى وقت متأخر من الليل ، عاد جيثرو .

قال : « هناك مشـــكلة جديدة ،فلقد اختطفت مايسه ! » .

قفز شـــيبرون واموبا على اقدامهما وصـــاحا : مايسه اختطفت ؟ .. من الذى فعل ذلك ؟ ومتى حدث ذلك ؟ وكيف علمت بذلك ؟! » .

اجاب جيثرو : « عنـــدما تركتكما وتوجهت الى المدينة ، علمت بكل شـىء ، لأن الحياة توقفت ، وكان الناس يتكلمون فى الشـــوارع عن موت أبيك وموت القطة . وقد أمر الملك بالقبض عليكما ، وأيضا على

الذين قتلوا والدك . وهناك رقابة مشددة الآن فى كل المدن والقرى المصرية وألقى القبض على كل الغرباء وفحصوا هويتهم .

بعد ذلك ذهبت الى البيت ، ورأيت فى الحديقة امرأة عجوزا من العبيد تبكى، اتجهت اليها فاكتشفت أنها خادمة مايسه وهمست فى أذنها فعرفتنى على الفور . فأشرت اليها أن تلزم الصمت ، وأومأت الى ركن معتم فى الحديقة .

قالت عندما اختبأت وراء بعض الشجيرات :
« آه ، ياجيترو ، لقد اختفت سيدتى الشابة مايسه ! »

قلت : « اختفت ! ماذا تعنين ؟ »

ــ « عندما اندفع الحشد الى الحديقة للبحث عن القطة ، دخل أربعة رجال الى البيت ، واندفعوا من حجرة الى اخرى حتى دخلوا حجرة سيدتى . سمعنا صرخة ، وبعد لحظة خرجوا يحملون شخصا ملفوفا بعناية » .

« ولم أنطق للحظة . وأخيرا فكرت فى روث . **فقلت** : أين روث ؟ »

قالت : « لا ندرى ، فلم تؤخذ مع مايسه ، ولم نعثر عليها فى أى حجرة من حجرات البيت » .

قال شبيرون : « لكن لماذا هربت روث . فحياتها لم تكن معرضة للخطر عندما وصل الجنود » .

أجاب جيثرو : « ذلك مالا أستطيع أن أفهمه ، ولم تستطع العجوز أن تقول لى شيئا عنه . لكننى أعرف بأن روث ليست من النوع الذى يهرب من الخطر .. ولما لم أستطع معرفة المزيد ، فقد رجعت بأسرع ما يمكن » .

وواصل جيثرو كلامه فقال : « منذ أن غادرت البيت كنت أتمنى أن يحدث شىء قد يرشدنى الى أولئك الذين اختطفوا مايسه » .

فقال شبيرون : « اعتقد انه لا يمكننا الرحيل غدا ، يا جيثرو ، لا يتحتم علينا أن نرحل قبل أن نعرف ماذا حدث لها » .

ـــ « كلا بالتأكيد ، ياشيبرون ، واجبى يحتم على أن أبقى هنا حتى نجدها ، ولقد تحدث والدك معى بخصوصها ، لكنه لم يعرف كيف يمكن أن نساعدها ، اذ من المفروض أن تكون بصحبة والدتها ، وهى الآن فى حاجة ماسة لمساعدتها » .

قال اموبا : « اشعر تماما بأن ما حدث يقع وزره على بتايلاس سوف يحتفظ بها كرهينة حتى يصبح كاهنا أكبر ، واذا وافق الملك على زواجها من بلكسو ، فلن يكون فى مقدور مايسه أن ترفض » .

قال شيبرون : « أعتقد أنك على صواب ، يا أموبا ، لكن السؤال هو ، ما الذى ينبغى علينا عمله ؟ فلا يمكننا أن نتركها فى أيدى بتايلاس » .

قال جيثرو : « بمقدورى أن أعدك ، ياشيبرون بأن بلكسو لن يتزوجها على الاطلاق ، من المحتمل الا نعثر على مايسه ، لكن باستطاعتى العثور على بلكسو ، قبل أن نغادر مصر ، وسوف أقتله هو وأباه لأننى على يقين بأنهما سبب موت والدك » .

عندما انتهى من كلامه دخل شيجرون .

قال : « لقد جئت لأرى اذا كان جيثرو قد عاد أم لا . أنا لا أعتقد أنه بامكانكم البقاء مختفين هنا أكثر من يوم فقط أو يومين . فالجنود يبحثون فى كل مكان وفى كل بيت وفى كل منطقة ، ولن يمضى وقت طويل حتى يحضروا الى هنا . هناك مقابر عائلية منحوتة على الجانب الآخر من الجبل ، يمكنكم الاختفاء فيها ، من الأفضل أن نذهب الى احدى هذه المقابر فورا . سوف أذهب معكم عند الفجر لاختيار أفضل مكان ».

عند الفجر وصل شـــيجرون . نهض الثلاثة على الفور وتبعوه . قادهم عبر أسفل جانب الجبل لمسافة ما . ثم انحرف وبدأ يتسلق الجبل . مروا بالعديد من المقابر ، بعضـــــها مبنية بالحجر وأخرى منحوتة فى الصخر . لم يتوقفوا الا بعد مسيرة نصف ساعة ، أمام مدخل واحدة من تلك المقابر الضخمة المنحوتة فى الصخر لعائلة نبيلة ثرية من طيبة .

قال شيجرون : « اعتقد أن هذه المقبرة من الممكن أن تكون أفضل مكان للاختفاء فيه ، لأنها بعيدة عن المقابر الأخرى ، وقليل من الناس يمرون من هنا . كما أن صخرة الباب لم توضع فى مكانها ، رغم أن جسد النبيل مسجى هنا منذ فترة قصيرة . فقد قال لى ابنه بانه لن يغلق المقبرة لأن أمه مريضة جدا ، ويخشى أن تلحق بزوجها فى القريب العاجل . ســــوف نلاقى صعوبات بسيطة فى الدخول . يجب عليكم أن تظلوا مختبئين داخلها اثناء النهار وعندما تظلم الدنيا يمكنكم الخروج حسبما تشاءون .. ساوفر لكم ما يكفى من الطعام لعدة أيام واحضـــر لكم بعض الملابس التى طلبتوها ، كما ساحضر النقود التى اعطاها لى أميرس أمانة عندى » .

بمجرد أن تركهم شيجرون جلس الأصدقاء الثلاثة بمدخل المقبرة وأخذوا يتطلعون الى المدينـــة الهادئة باسفل الجبل .

تناقشـــــــوا طويلا فى الخطة التى ينبغى عليهم تنفيذها.

قال شيبرون : « أعتقد أن افضل خطة تناسبنا بعد كل ما ناقشناه ، هى أن نراقب بلكسو .. أما بتايلاس فسيكون مشغولا جدا لتأكده من تنصيبه كاهنا أكبر . لذا فمن المحتمل أن يذهب بلكسو لرؤية مايسه ، ويحاول اقناعها بالزواج منه . ولأنها فى الغالب ليست محتجزة فى بيته ، فبالتأكيد سوف يقودنا الى مكانها على أقل تقدير » .

قال جيثرو : « أعتقد انها خطة ممتازة » .

فواصل شيبرون كلامه قائلا : « لابد ان نكتشف اى الطرق يسلك ، لنبدأ به ، بعد ذلك لن يكون أحدنا فى حاجة للاقتراب من البيت . سوف أشترى سلة زهور وأتخذ مكانا قرب البوابة . فى حوالى الثالثة

سيكون بلكسو قد انتهى من واجباته فى المعبد ، وربما يذهب بعد ذلك بنصف ساعة . وهكذا أستطيع أن اعرف الطريق الذى سلكه . وعندما تلحقان بى فى المساء ، يمكن لأحدكما أن يسير فى ذلك الطريق لمسافة ميل او ميلين ، والآخر ضعف المسافة السـابقة .. عندئذ سوف نعرف عندما يعود ، المسافة التى قطعها من الطريق . وبالتالى نعرف الأماكن التى سنكمن فيها غدا لنعرف المزيد مما يفعله » .

الفصـــل العشرون

البحـث عن مايســة

فى ظهر اليوم التالى ارتدى شيبرون ملابس امرأة فقيرة وجلس أمام سلة الزهور على بعد خمسين مترا من مدخل بيت بتايلاس . وكما توقع ، عاد بلكســـو ووالده من المعبد بعد الظهر بقليل . وبعد نصف ساعة أستقل بلكسو عربة صغيرة يجرها حصانان وخرج من البوابة .

من المكان الذى كان يجلس فيه شـــيبرون كان باستطاعته رؤية مفترق طرق ثلاثة .واحد يتجه شمالا الى الوادى ، بينما يتجه الآخران يمينا ويسارا ، احدهما يؤدى الى الطريق المجاور للنهر ، والآخر يؤدى الى الجبال . ولقد مضى بلكسو فى الطريق الأخير . من

المحتمل أنه كان ذاهبا لزيارة بعض الأصدقاء ، لكن شبيرون أحس تقريبا انه ذاهب لرؤية مايسه .

قال شـــــبيرون عندما انضـــم اليه رفيقاه : « لقد انطلق فى الساعة الثالثة ، ومضى فى الطريق المؤدى الى سفح الجبل » .

قال جيثرو : « سوف نذهب على الفور ، فربما يعود سريعا ، لذا يجب أن نسرع . سر أنت بهدوء ياشبيرون ، وقف عند منحنى الطريق . وسوف يقف أموبا على بعد ميلين ، أما أنا فسوف أذهب أبعد من ذلك بميلين .. فلو أنه عاد عبر الطريق ومر على ، فسنبدأ من تلك النقطة غدا » .

وما أن وصل جيثرو الى المكان الذى كان من المقرر أن ينتظر فيه ، . حتى سمع صوت عجلات عربة . بعد مضى دقيقة مرت به العربة . وعاد جيثرو الى المدينة وقابل أموبا وشبيرون فى طريقه .

فى الليلة التالية وقف أموبا على بعد ميل من المكان الذى رأى فيه جيثرو العربة ، فى حين كان جيثرو يقف

على بعد ميل آخر منه . أما شيبرون فكان يراقب من نفس مكان الأمس . لكن العربة لم تمر فى ذلك الوقت .

لم يصـــل بلكسو حقيقة الا فى الربع الأخير من الليل . ولم يمر هذه المرة بموقع جيثرو على الاطلاق ، ومن المؤكد أنه انحرف الى اليمين أو اليسار عند نقطة معينة فى المسافة ما بين أمويا وجيثرو ، حيث لم تكن توجد منازل فى ذلك الطريق البرى .

وعندما اكتشـــفوا ذلك ، قرروا ألا يعودوا الى مخبأهم القريب من طيبة هذه الليلة . ورأوا أنه من الأفضل لهم أن يستلقوا تحت بعض الأشجار القريبة من الطريق حتى الفجر ، بعدها يتفحصـــون الطريق بعناية . ولم يتوقعوا مرور عربات أخـــرى في ذلك الطريق قبل طلوع النهار ، وبالتالى أصبح فى امكانهم تتبع آثار العربة على الطريق الترابى .

بهذه الطـــريقة اكتشفوا الطريق الذى عاد منه بلكسو ، لكن بعد ذلك لم تظهر آثار عجلات العربة لأن الطريق كان صخريا وليس متربا .

وظلوا يراقبون وينتظرون يوما بعـد يوم ، فى اليوم السـادس فقط رأى شـيبرون عربة على الطريق . ولما كانت عربات كثيرة قد مرت على الطريق كل يوم فقد كان أمله ضعيفا جدا . لكن عندما اقتربت داهمه شعور أكيد لا يعرف مصدره ، بأن تلك العربة هى التى يبحث عنها . فالخيول كانت بنفس لون خيول عربة بلكسو ، كما أن ملابسه الكهنوتية البيضاء كانت واضحة للعيان .

فى هذه المرة لم يكن خادمه معه ، بل رجل يتضح من ملابسه البيضاء أنه كاهن أيضا . **فقال شيبرون لنفسه :** « لابد أن يكون ذلك بتايلاس الشـرير الذى تسبب فى موت والدى » .

واصلت العربة سيرها ثم انحرفت الى طريق قريب جدا من سفح الجبل ، حتى لم يعد فى امكانه رؤيتها . وما ان اختفت العربة حتى هب واقفا على قدميه وأسرع عبر الجبال لينضم الى أموبا . وعندما اكتشف أنه غير موجود واصل السير حتى لحق بجيثرو ، الذى كان أموبا قد انضم اليه قبل أن يصل بلحظة او لحظتين .

سألهما بسرعة : « هل رأيتاهما ؟ »

أجاب جيثرو : « لقد رأيتهما وعرفت أين ذهبا ؟ أترى ذلك السقف الموجود بين الأشجار ، عند سفح الجبل ، على بعد نصف ميل ؟ لقد انحرفا من هنا وتوغلا بين الأشجار . أخيرا انتهى بحثنا » .

ـــ « لكن ما هو أفضل شيء نفعله ، ياجيثرو ؟ انتظر حتى يغادرا البيت ، ثم نذهب اليه بعد ذلك ؟

فأجاب جيثرو بحسم : « كلا . هناك أمران لابد من انجازهما : أولا ، انقاذ مايسه ، ثانيا : التعامل مع هذين الكاهنين الشريرين . لقد رأيت بتلايلاس مع ابنه ، وبالتأكيد لم يحضر معه الا لغرض ما من المحتمل أنه ينوى اخافة البنت حتى يجبرها على الوعـــد بزواج بلكسو . وماذا تستطيع فتاة فى مثل سنها أن تفعل وهى بين يدى رجل مثل هذا ؟ . لا شك أن بلكســـو حاول معها وفشل ، لذا فقد أحضر بتايلاس لمساعدته .

استمر جيثرو فى كلامه : « أموباً وأنا ســـنحمل عصيا غليظة ، على حين تخفى أنت سكينك تحت

ملابسك النسائية . فنأخذهم على حين غرة . أنا لا أتوقع وجود أكثر من رجل أو رجلين معهما ، ومحتمل أن توجد خادمة . فبتايلاس لا يريد لسره أن ينكشف . وبالطبع ، من الممكن أن يكون الرجال الأربعة الذين خطفوا مايسه قائمين بالحراسة ، فلو كان الأمر كذلك فسيصبحون ستة . حتى لو وجد عشرون منهم ، فلن يرهبنى ذلك فالرجال الشرفاء لا يخشون أبدا مقابلة الرجال الأشرار » .

فصاح أموبا : « خاصة عندما يكون الرجال الشرفاء أقوياء مثلك ، ياجيثرو ، وبأيديهم عصى غليظة ثقيلة ! » .

ابتسم جيثرو ، وشرعوا على الفور فى السير بجانب سفح الجبل ، حتى وصلوا خلف البيت تماما وسط الأشجار . بعدها تسلقوا الجدران بشىء من الصعوبة ونزلوا الى الحديقة . ثم ساروا بهدوء بقدر ما يمكن بين الأشجار واقتربوا من البيت .

عبروا الحديقة بلا أدنى صوت . وقف جيثرو ورفع

يده ، لأنه سمع أصواتا آتية من الباب المفتوح . وعرف شيبرون وأموبا على الفور أن أحد هذه الأصوات هو صوت بتايلاس .

— « أنا لا أريد مزيدا من الحماقات ، يا مايسه . لابد أن تسعدى بمثل هذا العرض الذى قدمه لك ابنى . لابد أن أحصل على اجابة الآن . سوف تتعهدين أمام الآلهة . بأن تتزوجى بلكسو . وتتعهدين كذلك ، بأن تخبرى الجميع بأن أحدا لم يجبرك على البقاء هنا ، وأنك اختبأت هنا ، لأنك كنت مملتئة خوفا وغضبا بسبب فعلة أخيك الشنعاء . اذا لم تتعهدى بذلك فسوف تؤخذين الليلة وتوضعين فى السجن . ستبقين وحدك ، لا ترين ضوء النهار حتى تتعهدى بذلك ! » .

ثم سمع صوت آخر ، تبين لثلاثتهم انه صوت روث :

— « لا تصغى اليه يا مايسه . اذا كنت تدعى ياسيدى أنك الكاهن الاكبر ، فلابد أن الآلهة التى تتظاهر بالصلاة لها ، هى مجرد أشياء تافهة ، اذا كانت قد

سمحت لواحد مثلك ليكون كاهنها الأكبر ، لو انها آلهة حقيقية وليست مجرد تماثيل ، لكان من المحتم أن ترديك قتيلا !» .

ندت صيحة غضـــــب من بتايلاس وتقدم للأمام وأمسك الفتاة بخشونة من كتفيها . فضربته روث بكلتا يديها على وجهه بكل ما تملك من قوة . فقفز الى الخلف وقد أحمر وجهه من الغضب .

وصاح : « أحضرها الى يا بلكسو ! »

لم يستطع الرفاق الثلاثة الانتظار أكثر من ذلك ، فاندفعوا داخل الحجرة .

الفصل الواحد والعشرون

العثــور على مايســة

على الرغم من أن بتايلاس أخذ على حين فجأة ، الا أنه لم يستسلم ، **واستل سيفه وقال :** « من أنتم وماذا تفعلون هنا ؟ »

ـــ « نحن الذين ترغب فى موتهم ، يابتايلاس ، لكننا جئنا لمحاسبتك . وطالما أنك تســببت فى موت أميرس ، فلابد أن تموت » .

ودون أن ينطق بكلمة اندفع بتايلاس ناحية جيثرو بسيفه وعندما فعل ذلك ، هوى جيثرو بعصاه الغليظة على السيف فكسره .

أســقط بتايلاس ذراعه الى جانبه ، **وقال وهو**

ينظر مباشرة الى جيثرو : « أتجرؤ على قتل الكاهن الأكبر لأوزيريس ؟ »

فقال جيثرو : « أنا لا أهتم بمن تكون ، فكل ما أعرفه أنك قتلت سيدى » .

وهوى بعصاه الغليظة الثقيلة على رأس الكاهن بكل ما لديه من قوة .

فى هذه اللحظة عاد بلكسو ، الذى كان قد فر من الحجرة لحظة دخول الآخرين ، ومعه ثلاثة مسلحون كان شيبرون وأموبا يتابعان القتال بين جيثرو وبتايلاس، ولم يلحظا دخول بلكسو ، الذى هجم على شيبرون وفى يده سكين .

وفجأة انطلقت صيحة تحذير . واندفعت روث الى الامام ولفت ذراعيها حول جسد بلكسو ووقع الاثنان على الأرض وانتفضت روث واقفة على قدميها ، وتمدد بلكسو على الأرض دون حركة . ووقف الرجال المسلحون للحظة مندهشين من سقوط سيدهم . وعندما

رأوا رجلين فقط وامراة ، اندفعوا لمهاجمتهم . ضرب جيثرو واحدا منهم فأوقعه أرضا ، ووقف الآخـــران ثابتين مكانهما يخشيان أن يتحركا .

صاح جيثرو : «القيا أسلحتكما ، والا ستقتلان !»

فى تلك اللحظة خلع شيبرون ملابسه النســائية واستل ســكينة ووقف عند الباب ، عندما قام جيثرو وأموبا بتجريد الرجلين من أسلحتهما .

قال : « ارفعا أيديكما . وأنت يابنى ، قف على رأسيهما وعصاك معك ، لو تحرك أحدهما ، هشــم رأسه ! »

استسلم الرجلان . ومزق جيثرو ملابســهما الى شرائح وقام بربط أيديهما خلفهما باحكام . لاحظ أموبا وشيبرون أن جيثرو قد نادى أموبا بابنه ، فعرفا أنه كان يقصد من ذلك اخفاء أسمائهم الحقيقية .

أما مايسه فقد أطلقت صــيحة فرح عندما رأت النجدة قادمة ، وجلست فى تلك اللحظة على كرسى منخفض ، وأخفت عينيها بيديها أثناء القتال ، فى حين

وقفت روث الى جنبه وهى تراقب الموقف . ولم تتحرك الا عندما اندفع بلكسو ناحية شيبرون ، ثم عادت الى جوار مايسه بعد أن أوقعته أرضا . كما أنها أدركت السبب الذى جعل جيثرو ينادى أموبا ، ابنى . وقالت لمايسه فى هدوء : « لقد انتهى القتال الآن ، اهدأى ولا تتكلمى حتى تعرفى ما الذى ينبغى عمله » .

بعد أن قيد جيثرو ذراعى الرجل الراقد نصف ميت على الأرض ، اتجه الى بلكسو الذى لم يتحرك من مكانه منذ أن سقط على الأرض . وعندما قلبه على جنبه ، أطلق صيحة اندهاش بصوت خفيض ، **وقال لشيبرون :**

« جاسنديون ، خذ الفتاتين الى الحديقة ، وابق هناك حتى نلحق بك » .

خرج شيبرون تتبعه مايسه وروث . وفى اللحظة التى أصبحا فيها بالخارج ألقت مايسه ذراعيها حوله وبكت فرحا .

وصاحت : « آه ، ياشيبرون ! لقد جئت فى الوقت

المناسب تماما ، فلقد اعتقدت أننا لن نستطيع الهرب من ذلك الرجل البشع . لم أكن أعرف ماذا أفعل اذا لم تكن روث معى . آه يا أخى ! لقد قالوا لى أشياء بشعة — لا أعتقد أنها صحيحة — قالوا لى ان والدنا العزيز قد قتل ، وأنك ياشيبيرون ، الذى قتلت القطة العزيزة بوسى . لكنى بالطبع لم أصدقهم .. فأنا أعرف أنهم جميعا رجال أشرار » .

قال شيبرون : « لا تفكرى فيهم الآن ، ياعزيزتى ، وأول شىء هو أن تخرجى من هذا المكان . ولسوف يقرر جيثرو واموبا أفضل تصرف يمكن أن نفعله . هل هناك آخرون فى البيت ؟ »

اجابت روث : « يوجد رجل آخر ، وامرأة عجوز . أعتقد أن الرجل موجود عند الباب » .

فقال شيبرون : « من الأفضل أن أخبر جيثرو » . وعاد ثانية الى الحجرة وأخبر جيثرو بما سمع .

فقال جيثرو : « سنقبض على المرأة أولا ، ثم نلف حول البيت ونقبض على سائق العربة . فلابد أن الرجل،

سمع الصياح . فاذا اندفعنا ناحية الباب ، فمن المحتمل أن يقفز داخل العربة وينطلق بها قبل أن نمسك به . لكن اذا هاجمناه من الخلف فسوف نباغته » .

قال شيبرون : « لكنك نســيت أن تقيد ذراعى بلكسو » .

اجاب جيثرو : « لقد مات بلكسو .. فلقد ســقط وذراعه بالقرب من صدره ، فانغرست السكين التى كان ينوى قتلك بها فى قلبه ! » .

قال شــيبرون : « لكن لماذا ناديت أموبا بابنك ، وناديتنى جاسنديون ؟ »

قال جيثرو : « آه ، حتى لا يعرف الناس اننا من فعلنا ذلك . سوف يعتقدون أن بعض اللصوص نزلوا من الجبل ، وقتلوا بلكسو ووالده خاصة وأن بلكسو لم يرنا بوضوح قبل أن يندفع الى الخارج ليستدعى الرجال لنجدة والده . والآن دعونا نكمل عملنا » .

ســرعان ما قيدت المرأة ، وربطت يداها باحكام

خلف ظهرها وتم وضـــع الرجال الاربعة فى حجرات منفصلة .

قال جيثرو : « لا ينبغى أن تضع رجلين معا ، تذكر ذلك دائما . ضع كل رجل وحده تضمن الاحتفاظ به . واذا وضعت اثنين معا فلابد ان يهربا .. فمن الممكن أن يفك كل منهما رباط الآخر بأســــنانه ، أو ربما بأصابعه .

سأله امويا : « والآن ما الذى ينبغى علينا عمله ؟»

ـــ « أذهب أنت ياشيبرون الى الحديقة ، وابق مع الفتاتين ، أما انا وأمويا فسوف نتعامل مع السائق .

الفصل الثانى والعشرون

لابد من مغادرة مصر

بمجرد أن تركه أموبا وجيثرو انضم الى الفتاتين .

— « لقد أنقذت حياتى ، ياروث ، لن أنسى لك ذلك أبدا ! »

— « لقد أنقذتنى من التمساح ، ياسيدى . لم افعل شيئا سوى أننى ألقيت بلكسو على الأرض ، ولا أدرى كيف تم ذلك ؟ » .

— « لقد أنقذتنى ياروث . فأنا لم أنتبه اليه ، الا عندما صرخت أنت . كان من الممكن أن يقتلنى .. لكن كيف جئت إلى هنا ؟ لقد تمنينا بالطبع أن تكونى مع مايسه ، لكن أحدا لم يرك وأنت تخرجين معها » .

اجابت روث فى هدوء : « ان مــكانى دائما مع سيدتى مايسه . . فهى بالنسبة لى اكثر من ذلك ـــ لانها صديقة » .

فسالته مايسه : « لكن كيف أمكنك الحضور الى هنا ، ياشيبرون ؟ »

ـــ « انها حكاية طويلة ، ياعزيزتى . سوف اخبرك بكل شىء فيما بعد . كما اننا سنكون فى شوق لسماع حكايتك ايضا . آه ، لقد حضر أموبا وجيثرو . . ليكن فى علمك أنك مدينة بسلامتك لهما اكثر مما تدينين بها لى يا مايسه » .

توجهت مايسه ناحيتهما بينما هما يقتربان .

ـــ « أوه ، ياجيثرو ! كم انا مدينة لك بالكثير ، ولك انت أيضا يا أموبا . لقد كادت قواى تنهار ، رغم ما كانت تقوم به روث لبث الأمل فى لايمكنكم أن تقدروا مدى السعادة التى شــعرت بها عندما ســمعت اصواتكم » .

اجاب جيثرو : « لقد كانت فرحتنا بوجودك تعادل فرحتنا برؤيتك . ويسعدنى أنا وأموبا أن نقدم حياتنا فداء لك . والآن هيا نذهب خلال الحديقة الى الجانب الآخر من البيت . هناك يمكننا أن نجلس ونتكلم ، وفى نفس الوقت نراقب دخول أى شخص » .

ذهبوا الى الجزء الخلفى من البيت ، وجلسوا على بعض المقاعد الموجودة تحت الأشجار . كان كل شىء هادئا وآمنا . أما بالنسبة لشيبرون ، فقد كان كل ما حدث خلال الأيام القليلة الماضية بمثابة حلم مزعج .

قالت مايسه : « الآن وقبل اى شىء ، لابد أن احصل على اجابة لأسئلتى . كيف حال ابى وامى ؟ »

أمسك جيثرو بذراع أموبا **وانتحيا جانبا ، وقال :** « سوف نترككما ،ياشيبرون . عليك أن تخبر مايسه بكل ما حدث . من الأفضل أن تكون وحدك فى هذا الوقت .

نهضت روث من على مقعدها ، لكن مايسه وضعت يدها على يدها .

ــ « أنا خائفة ، ياروث ، أبقى معى » .

قال شيبرون : « لقد قلت يامايسه أنهم قالوا لك بأن والدك قد مات ، وأننى قتلت القطة بوسى » .

ــ « نعم ، لكنى لم أصدقهم .. على الأقل بالنسبة لك . لكن عندما أعود بذاكرتى الى هؤلاء الناس الذين كانوا عند البوابة ، وتلك الضجة .. فقد كنت أخشى أن يكون ما قالوه عن والدى صحيح . لكن ، من المؤكد أن ذلك غير صحيح يا شيبرون » .

ــ « صحيح ، يا مايسه ! وكم كنت أتمنى أن أكون هناك لأموت بجانبه ، لكنك تعرفين بأننى وأموبا كنا بعيدا . لقد قاتل جيثرو حتى النهاية ، وكان من الممكن أن يموت معه ، لولا أن أبى قال له بأن يحمينى ويأخذنى الى الريف » .

انهمرت الدموع من عينى مايسه .. وبعد دقائق قليلة تطلعت الى أعلى ، وقالت : « لكن لماذا يتحتم عليك أن تغادر البلاد ، ياشيبرون ف فبالتأكيد ، بالتأكيد ليس صحيحا أنك ... » .

وبدا لها الأمر فظيعا جدا حتى تصوغه فى كلمات .

ــ « أننى قتلت المسكينة بوسى ؟ هذا صحيح كذلك ، يا مايسه » .

فأطلقت مايسه صرخة حزن .

ضمت روث الفتاة الباكية **وقالت :** « لابد أن تتأكدى يا مايسه ، أن أخاك لم يكن يقصد فعل ذلك . لا يمكن أن تكون غلطته » .

فصاحت مايسه : « الأمر سواء ، فقد كانت القطة المقدسة ــ قطة بوباسطس ! » .

شرح شيبرون لأخته ، كيف قتلت القطة ، وماذا فعل هو وأموبا لاخفاء جسد القطة ، « عندما أخبرت والدى ، قال لى ليس بك حاجة لأن تخشى غضب الآلهة » .

ــ « أرى أنها ليست غلطتك ياشيبرون ، لكن كيف يتسنى لوالدنا القول بأن الآلهة لن تغضب لذلك ؟ »

ــ « لن أستطيع أن أخبرك بكل ما قاله يا مايسه

وقد يأتى يوم يكون باستطاعتى أن افعل ذلك ، وانت تعرفين كم كان حكيما وطيبا ، وأنا أريدك أن تتذكرى ما قاله عندما رحلت » .

بكت مايســـه وقفزت ناحية أخيها وألقت بذراعيها حول عنقه **وقالت** :

« لكن لماذا يتحتم عليك أن ترحل وتتركنا ؟ »

ـ « أهل مصر يفتشون فى كل أرجاء البلاد للعثور على وقتلى أنا واموبا ، لذا لابد أن نهرب . كان ينبغى الآن ان نكون بعيدا جـــــدا لو لم نبق للبحث عنك وانقاذك » .

قالت مايسه : « لو أن كل شىء قالوه كان صحيحا، ياشيبرون ، فمن الممكن اذن أن يكون ذلك الخطاب الذى اروه لى من قبل امى صحيحا كذلك ، وتأمرنى فيه بالزواج من بلكسو فكيف تسنى لها أن تقول ذلك وهى تعرف تماما أننى اكرهه ؟ » .

فسأل شيبرون : « ما الذى قالته ؟ »

ـــ « قالت أن العار قد حل بعائلتنا ، وربما يسعدنى ان أتلقى هذا العرض بالزواج » .

جلس شيبرون صامتا ، فقد كان يعلم أن أمه لم تكن تظهر الكثير من الحب له ولا لمايسه .

ـــ « أخشى أن يكون ذلك صحيحا يا مايسه » .

فقالت مايسه بغضب : « لكنني لن اتزوج بلكسو ابدا ! فقد كان أبى يقول دائما ، بأنه لا ينبغى على ان أتزوج رجلا أكرهه » .

ـــ « لن تتزوجى بلكسو ابدا ، يا مايسه .. لأنه مات » .

ـــ « اذن ما الذى ينبغى على عمله ؟ »

ـــ « يجب أن تعودى الى والدتك ، يا مايسه .. ليس هناك شىء آخر تفعلينه » .

صاحت مايسه : « لن أفعل ! فهى لم تحببنى أبدا ، كانت تود أن تزوجنى من بلكسو رغما عنى ، فى حين انها كانت تعلم تماما أنى أكرهه . كلا يا شيبرون ، لن

يرغمنى شىء على العودة لها . أنها تفكر فى نفسها ، كما كانت تفعل دائما ، وليس فى بأى حال من الأحوال، أنت تعرف ذلك أيضا ، يا شيبرون » .

ظل شيبرون صامتا . فقد كان يعرف أن ما قالته مايسه صحيح تماما .

سألها جيثرو : « لكن الى أين يمكنك الذهاب ، يا مايسه ؟ فأينما كنت ، لابد أن تعرف أمك ، وتعمل على عودتك » .

اجابت مايسه بحسم : « سأذهب مع شيبرون وأموبا »

فأجاب جيثرو : « مستحيل . فنحن مقبلون على رحلة تحفها المخاطر . وسنلتقى بأناس شرسين لا نعرفهم . من المحتمل الا تظلى على قيد الحياة حتى نهاية الرحلة . كيف يتسنى لنا أن نصحبك معنا خلال تلك المخاطر والصعاب ؟ » .

قالت مايسه : « أنا استطيع المشى مثل شيبرون . أنت تعرف ذلك . ياشيبرون . اننى افضل الموت على

أن أبقى فى مصر . لقد قتل أهلها أبى ، ومن المحتمل أن تتزوج أمى من أغنى رجل قد يقابلها . لم يعد لى فى هذا العالم ، الا شيبرون فقط ، ولسوف أذهب معه الى حيث يمضى ، وأموت حيثما يموت » .

قال جيثرو فى أسى : « مايسه أنت تطلبين شيئا صعبا . اذا مضيت معنا فلابد أن تكونى على استعداد لمواجهة الموت بأشـــــكال عديدة .. الموت جوعا أو عطشا، أو برماح رسهام أولئك الناس الشرسين ساكنى الصحراء . من المحتمل أن تؤخذى أسيرة وتباعى فى سوق العبيد . انها رحلة وعرة بالنسبة للرجال ، وأكثر وعورة بالنسبة للنســـــاء . لكن اذا كان لديك استعداد لتكونى ثابتة وقوية فى مواجهة أى خطر ، فمن الممكن أن نتفق ، وبالتالى يمكنك أن تذهبى معنا ».

أطلقت مايسه صرخة فرح .

ــ « أنا أعدك يا جيثرو . ومهما يحدث من مخاطر واهوال وصعاب ، أو حتى ألموت .. فلسوف أواجه ذلك معك ! » .

الفصل الثالث والعشرون

خطـط الهــــرب

قال اموبا : « والآن ، يا جيثرو ، ما الذى ترى أن نفعل الآن ؟ . فالدينا ظلام تقريبا ، وبامكاننا أن ننطلق على الفور . أيمكننا أن نستعمل العربة ؟ »

تدبر جيثرو هذه الفكرة لبرهة قصيرة. **ثم قال :** « لكنها صغيرة جدا ، ولن تكون ذات فائدة تذكر . لكن يمكننا استعمالها حتى نصل الى المنطقة الشمالية ، وحتى نجعلهم يعتقدون اننا سلكنا ذلك الطريق » .

قال اموبا : « سأجهز العربة . ســـــيكون امامك الكثير ياجيثرو لتقوم به غدا . يجب أن نشترى قاربا ومخزونا من الطعام . وأرى أن أفضل خطة أن نتجه مباشرة مع الفتاتين الى طيبة . فتذهب أنت وشيبرون

الى المكان الذى اختبأنا فيه من قبل فى الجبل . أما الفتاتان فسيسعد شيجرون أن يستضيفهما فى بيته . فليس هناك خطر حاليا من احتمال البحث عنهما .. فعندما لا يعود الكاهن وابنه الليلة ، سيظن الخدم أنهما سيقضيان الليلة هنا . ولن ينتشر الخبر قبل بعد ظهر غدا ، كما أن الأخبار لن تصل طيبة الا فى صباح اليوم التالى ، سوف أقود العربة طوال النهار فى رحلتنا الى الشمال ، ثم أعود سيرا على الأقدام وأنضم اليكما مساء الغد » .

قال جيثرو : « خطتك جيدة يا أموبا . قبل أن نرحل سأبعثر كل شىء فى المكان ، حتى يبدو الأمر كما لو أن لصوصا كانوا هنا . تعال معى يا أموبا . سيبدو الأمر غريبا ، الا اذا قام أحد منا بالبحث » .

سرعان ما بعثر جيثرو وأموبا المكان ليبدو أن لصوصا قد اقتحموا البيت . وألقوا ببعض المجوهرات والأشياء الثمينة فى بحيرة الحديقة . ثم ألقوا نظرة على السجناء ، وتأكدوا أنهم لن يستطيعوا الهرب .

وقاد أموبا الخيل لتشرب من البحيرة . ثم ركب العربة وانطلق بها ، بينما ســـار الآخرون على الأقدام نحو طيبة .

كان الوقت متأخرا عندما وصلوا الى بيت شيجرون وفكروا انه قد يكون من الأفضل عدم الاقتراب منه . فقضت الفتاتان ليلتهما فى حجرة مبنية بالحجر خلف البيت ، بينما نام جيثرو وشـــــيبرون على الأرض خارجها .

عند الفجر توجه جيثرو الى البيت ، ولما لم تكن هناك اى مظاهر للحياة فى البيت فقد طرق الباب ، وابلغ شيجرون بأنهم اكتشفوا مكان مايسه وأنقذوها .

اضطرب شيجرون جدا عندما سمع بموت الكاهن وابنه .

ـ « كانا شريرين ، ياجيثرو . لكن موت بتايلاس الذى كان من المحتمل أن يكون الكاهن الأكبر ، جدير بأن يصب الآلهة جام غضبهم على مصر . ورغم أن

ما حدث ليس خطأ الفتاتين المسكينتين ، الا أنه يسعدنى أن استضيفهما الليلة » .

نادى شيجرون خدمه وأخبرهم أن بعض الأصدقاء قد وصلوا من الريف ، وأمر بتجهيز حجرة لهم ، ثم خرج وعاد بالفتاتين الى البيت ، وأدخلهما بهدوء الى حجرتهما حتى لا يراهما أحد من الخدم .

ثم نادى على خادمة عجوز يثق فيها ، وأخبرها أن تخبر الخدم الآخرين بأن الضيوف لن يبقوا هنا سوى ساعات قليلة ، وسيبعث اليهم بعض الأصدقاء بعربة تقلهم الى الريف .

ذهب شيجرون مع جيثرو لعمل الترتيبات اللازمة للرحلة . فى البداية توجها الى شاطىء النهر ، حيث يوجد العديد من القوارب المربوطة الى الشاطىء .. وعندما انتشر الخبر بأنهم فى حاجة الى قارب ، وجدا نفسيهما محاصرين بعدد من أصحاب القوارب ! وأخذ كل منهم يمتدح سرعة وســــــلامة وراحة قاربه تمهل شيجرون بعض الوقت قبل أن يختار ما يبدو مناسبا

لغرضه . فاختار مركبا جيدة بها غرفة كبيرة مقسمة الى جناحين واحد منها لاستعمال السيدات . وعلى ظهر المركب كان يوجد ريس المركب ومعه رجـــال اربعة .

سرعان ما اتفقوا على الأجر ، وبعد ذلك توجه شيجرون مع جيثرو لشراء كل ما يلزم للرحلة النهرية لم يكن هناك حاجة لشـــراء الكثير من الطعام ، لأن المركب كان لابد أن تتوقف كل ليلة بأحد القرى الموجودة على شاطىء النهر .

اشــــتروا الكثير من الحاجات التى من الممكن أن يبيعوها لأهالى المناطق البرية ، وكذلك سهاما وحرابا قصيرة . ووضع كل ذلك على ظهر المركب .

كان كل شىء جاهزا فى أواخر اليوم ، وبعدها عاد شيجرون الى بيته ومعه جيثرو . القى جيثرو نظرة على الفتاتين ، ثم مضى الى الجبل فوجد أن أمويا كان قد وصل الى هناك ولحق به شيبرون .

سأله الشابان عندما دخل : « هل يمضى كل شىء على ما يرام ؟ »

اجاب جيثرو : « نعم ، المركب جاهزة وكل شىء فوق ظهرها . اشتريت بضائع لنتاجر فيها لأهل المنطقة الواقعة بين ميرو والبحر الأحمر . كل شىء على ما يرام الى حد كبير » .

سأله اموبا : « هل ستعود الى البيت ثانية يا جيثرو ؟ » .

ـ « نعم . سنبدأ الرحلة عند الفجر تماما . من الأفضل أن تنتظرا بعيدا عن البيت ، وتتبعانا . ثم تنضما الينا عندما نصل الى النهر ستكون المركب فى انتظارنا فى منطقة قريبة لنا حتى لا نضطر الى الدخول الى المدينة . كونا حريصين على ارتداء الملابس بطريقة صحيحة ، فنحن لا نريد أن يقبض علينا فى اللحظة الأخيرة » .

فى وقت متأخر من تلك الليلة عاد جيثرو الى مخبأهم السرى فى الجبل . **وقال لهما :** « المدينة كلها

تتحدث عما حدث . ويبدو أن الناس لا تعرف شيئا عن حكاية الفتاتين . وهكذا يمكن لمايسه وروث أن تتوجها الى المركب بصحبتى أنا وشيجرون . وأنا أفضل ألا تصعدا الى ظهر المركب معنا . فشيجرون يرى أنه من الأسلم بالنسبة لكما أن تذهبا الآن الى قرية ميتا التى تبعد اثنى عشر ميلا عن المدينة على طول شاطىء النهر ، لأن المركب ستتوقف هناك مساء الغد . عندما يسود الظلام يمكنكما أن تصعد الى ظهر المركب . . وسوف أخبر ريس المركب بأننى أنتظر بعض الرفاق للانضمام الينا » .

قال أمويا : « هذه بالتأكيد أحسن خطة . أعتقد أن شيبرون يعرف الطريق جيدا للوصول الى المركب وهو يرتدى ملابسه . سأنام ساعتين قبل بدء الرحلة ، فأنا لم أنم ليلة أمس ومشيت أربعين ميلا منذ أن تركت العربة .

قال شيبرون : « سأوقظك ، فقد نمت طول النهار تقريبا » .

جلس شـــــيبرون يراقب النجوم حتى رأى أنها قطعت ســـــاعتين فى رحلتها . بعدها أيقظ أمويا .. واستبدلا ملابسهما بملابس أبناء التجار .

وبعد أن انتهيا من ارتداء ملابسهما شرعا فى السير اتجها الى شاطىء النهر وســـارا بمحاذاته ، وعندما أصبحا على بعد ميلين من ميتا استراحا تحت ظل أحد الأشجار . وظلا نائمين حتى وقت متأخر بعد الظهر .

بعد نصف ساعة من غروب الشمس وصـــــل الصديقان الى ميتا . تمشيا على مهل فى سوق القرية بحثا عن جيثرو . وعثروا عليه خلال دقائق أمام باب أحد الدكاكين .

سأله أمويا : « هل كل شىء على مايرام ؟ »

— « كل شىء .. غادرنا المدينة دون مشاكل على الاطلاق . والآن هيا الى ظهر المركب . فالفتاتان قلقلتان عليكما ، رغم أننى أخبرتهما أنه لا خوف عليكما لأن الطريق آمن » .

قادهما جيثرو الى المركب التى كانت راسية على بعد مائة متر من القرية .

وعندما صعدوا الى ظهر المركب قال جيثرو بصوت عال : « هاهما أخواكما . وجدتهما يتجولان فى شوارع القرية ، وقد نسيا أنكما فى انتظارهما للعشاء ! » .

دخلا حجرة صغيرة اتساعها ثمانية أقدام تقريبا وطولها اثنى عشر قدما ، لكنها ليست مرتفعة بالقدر الكافى لكى يقفا براحتهما .

أطلقت مايسه صيحة فرح عندما دخلا ، **وقالت عندما جلس شيرون بجوارها :** « شكرا للآلهة ، اننا اجتمعنا ثانية ! انا اشعر بسعادة غامرة الآن ! » .

قال جيثرو عندما دخل رجل بأطباق الطعام : « ها هو عشاؤك » .

ثم قال له هامسا بعد أن خرج الرجل : « هناك شىء واحد أردت أن أقوله ، وهو ألا تنادى بعضنا بأسمائنا . يجب أن تنادونى بالوالد ، طالما أنه من

المفترض أنكم أبنائى . اموبا من الممكن أن يصبح أمنيس وشيبرون سيصبح اسمه شيفا » .

قالت مايسه : « وأنا سأصبح مايتس . وأنت ياروث بماذا نناديك ؟ ليس هناك اسم مصرى يقترب من اسمك » .

قالت روث : لا يهم ، أى اسم تنادونى به » .

فقالت مايسه : « يمكننا أن نناديها نايت . لى صديقة مخلصة تحمل هذا الاسم » .

الفصل الرابع والعشرون

الرحـــلة النهريـــة

بعد أن انتهى العشاء ، جلس الأصدقاء الخمسة بهدوء فى ضوء القمر . تكلموا عن الأحداث الغريبة التى وقعت خلال الايام القليلة الماضية .

قال جيترو لروث : « والآن ، ياروث ، يجب أن تحكى لنا كيف وصلت الى مايسه فى بيت بتايلاس . نحن نعرف كيف تم اختطافها ، لكن ماذا حدث لك ؟

اجابت روث : « لقد حدث الامر كله فجأة . سمعنا صوت خطوات سريعة ، ثم اندفع ثلاثة رجال الى الحجرة وقبضوا على مايسه . غطوا وجهها قبل أن تسنح لها الفرصة لطلب النجدة . ضـــربنى أحدهم ودفعنى على الأرض . كم من الوقت ظللت هكذا لا

أدرى ، لكن عندما أفقت لنفسى وتطلعت حـــولى ، وجدت الغرفة خالية ، وقفت على قدمى بصعوبة .. فتحت الباب وسرت داخل البيت ، ثم دلفت الى الحديقة حتى وصلت الى البوابة . هناك رأيت أربعة رجال يضعون مايســـه فى عربة . جريت نحوهم وما ان وصلت اليهم حتى التفت الى أحدهم وفى يده سكين . صرخت : « خذونى معها ، وسأظل هادئة ، اذا لم تأخذونى سأصرخ ، ويأتى الجنود ! » . لم يعـــرف الرجال كيف يتصرفون معى ، فجريت خلفهم وتسلقت العربة بجوار مايسه . ثم انطلقت العربة » .

قال جيثرو : « هذه شجاعة منك ، ياروث . فبدون مساعدتك لم يكن بامكاننا أن نجتمع هنا كما هو الحال الآن ، مستعدين لمواجهة مخاطر تلك الرحلة الطويلة . والآن أرى أن تذهبا الى الجزء الآخر من الغرفة لتناما .. الليلة تستطيعان أن تستريحا تماما » .

لم يمض وقت طويل حتى نام جيثرو ورفاقه نوما عميقا . فقد تحدثوا وبأسى عن الرحلة التى تنتظرهم .

كان ريس المركب ورجاله مشغولين على شاطىء النهر، لاعداد المركب للتحرك عند الفجر ، لذا لم يكن باستطاعتهم سماع اى شىء من الخطط التى وضعها جيثرو ، الذى اطمأن الى أن سر هروبهم ظل محفوظا تماما .

وعند بزوغ الشمس ، دفع الرجال بالمركب بعيدا عن الشاطىء . وهبت ريح لطيفة ، دفعت بالمركب لتسير ضد التيار بثبات ، وساد الجميع شعور بالسعادة . خلفهم يقبع خطر الموت ، وأمامهم يبزغ أمل حياة جديدة سعيدة مثل نجم فى السماء .

مرت الأيام يوما بعد يوم بهدوء وراحة . كانت الفتاتان ورفاقهما يسيرون على الشاطىء بجوار النهر بعد افطارهم المبكر ، وكذلك بعد انتهاء حرارة النهار . كانوا يعدون أنفسهم لرحلة الصحراء الطويلة التى سيواجهونها .

وعندما وصلوا الى سيين (أسوان الآن) ، انتهى الجزء الأول من رحلتهم . وبعد أن كانوا مسافرين فى

مجرى آمن هادىء ليس به أخطار ، فان النهر بعد سيين يسبح أكثر خطورة فى بعض أجزائه . كما أن أهـــالى المنطقة التى يتحتم عليهم أن يعبروها كانوا معروفين بقتل المسافرين الذين يسلكون ذلك الطريق .

ظلوا فى سيين ثلاثة أيام . وبطبيعة الحال كان يسعدهم أن يرحلوا دون تأخير ، لأن الســـلطات المصرية كان نفوذها يمتد الى ما بعد سيين ، التى كان يتم فيها فحص المسافرين بواسطة ضباط مصريين . لكن كان من عادة الملاحين أن يقضوا عدة أيام للراحة قبل أن يبدأوا المرحلة الصعبة التى ستواجههم . وفكر جيثرو أنه قد لا يكون من الحكمة أن يتعجلوا الرحيل .

كان الفيضان قد بدأ فى الارتفاع قبل أن يغادروا طيبة . ورغم أنه لم يبلغ حد الذروة ، الا أن مياه النهر كانت تتدفق بقوة . أخبر البحارة الفتاتين بأنه لا خطر عليهما ، وسارا بالمركب فى محاذاة الشاطىء . كان جيثرو والفتيان يسيرون معهم وعندما كانت الريح تخمد

أحيانا ، كانوا يســـــاعدون البحارة فى جذب المركب بالحبال ضد التيار ، لأن الأشرعة لا تكون ذات فائدة .

وبعد حوالى شهر من السفر وصلوا الى سمنح التى اتفق معهم ريس المركب على توصيلهم اليها .. بعد تلك المنطقة كان نفوذ ملوك مصر يتلاشى . وكان النهر هنا ينحرف ناحية الشرق لمسافة مائة وعشرين ميلا ثم يعود الى الجنوب ثم مرة أخرى ناحية الغرب . بمعنى أنه يشكل ثلاثة أضلاع مربع . ثم بالقرب من مدينة ميروى (الخرطوم الآن) يعود النهر الى اتجاهه ناحية الجنوب .

وبدلا من الابحار عبر النهر تلك المسافة الطويلة ، تعود التجار أن يعبروا الصحراء الى مدينة صـــغيرة تسمى ميراوى . وعلى ذلك بقوا فى سمنح حتى يجهزوا مجموعة مسلحة بشكل جيد . وكان ذلك ضروريا ، لأن المنطقة الصحراوية بين سمنح وميراوى لم تكن تخضع لا للمصريين ولا لشعب ميراوى ، ومن الخطورة عبور هذه المنطقة الصحراوية لأن التجار كانوا غالبا

ما يهاجمون من قبل عصـــــابات اللصوص الجوالين ، الذين كانوا يسرقون بضائعهم ويأخذونهم كعبيد .

ومن خلال اتصال جيثرو بتجار سمنح عرف منهم أنه ليس هناك ضرورة ، كما اعتقد ، للابحار عبر النيل من ميراوى الى ميروى ، ثم الاتجاه شرقا الى أكسيوم عاصمة الحبشة ثم الى البحر الأحمر . فقد كان هناك طريق مختصر جدا الى البحر الأحمر من المقريفة (بربر الآن) .

أخبر التجار جيثرو بأن هذه الرحلة ليست أصعب من الرحلة من ميروى الى أكسيوم ، كما أن المسافة أقل بكثير . لذا فقد قرر أن أفضل خطة هى أن يبيع كل البضائع التى أحضرها معه ، ويحتفظ بالقليل فقط ليعطيه للرجال الذين قد يأخذهم معه مقابل حمايتهم أثناء رحلتهم الى البحر الأحمر .

فكر جيثرو أنه قد يكون من الأفضل ان ينتظروا ستة شهور أو أكثر قبل ان يمروا بأى مدينة مصرية على شاطىء البحر الأحمر فى طريقهم الى الشمال . لذا فقد بقوا فى سمنح لمدة شهرين تقريبا ، قبل أن يواصلوا رحلتهم . ثم انضـــموا لمجموعة كبيرة من القوارب التى أبحرت الى أعالى النيل .

كانت مصاعب الرحلة كثيرة جدا . فبعد سـفر لمســافة ستين ميلا وصل القارب الى جزء خطر من النهر ، حيث أصبح المجرى ضيقا جدا فى بعض أجزائه وتتدفق مياهه بسرعة بين صخور حادة . تحتم على القوارب أن تتوقف ، وتعاون الرجال سويا على سحب القوارب واحدا بعد الآخر فى تلك البقعة الخطيرة .

أخيرا تم سحب جميع القوارب عبر هذه المنطقة الصـــخرية الوعرة ومياهها المتدفقة . فى هذه الليلة اقام البحارة والتجار احتفالا على شاطىء النهر بمناسـة

انتهاء ذلك الخطر . ونقلت كل البضائع الموجودة فى القوارب ووضعت على هيئة ساتر لحمايتهم من الأعداء .

وطوال الرحلة كلها عندما كانت القوارب تتوقف ليلا ، كان حراس مسلحون منهم يتسلقون الصخور العالية الموجودة على الشاطىء ، ليراقبوا أى هجوم يشنه أهل الصحراء .

الفصل الخامس والعشرون

صعـــاب ومخـــاطر

فى ليلة الاحتفـــــال وقف كل من جيثرو واموبا وشيبيرون سويا على ربوة عالية يتطلعون الى الصحراء عندما صاح جيثرو فجأة : « هناك شىء يتحرك على ذلك التل المنحدر المواجه لنا ! ولقد خيل لى عدة مرات أننى سمعت صوت سقوط بعض الحجارة . ولقد كان ذلك مؤكدا » .

ثم التفت الى احد الحراس وصاح قائلا : « أرفع سلاحك وكن على استعداد لهجوم » .

توقف الغناء على الفور وهب الرجال واقفين على اقدامهم ، وسمع جيثرو صوت سقوط شىء بجانبه ، فانحنى والتقط سهما سقط بجواره .

صاح : « الإعداء ! قفوا خلف المســاتر واخمدوا النيران .

وبينما هو يتكلم ارتفعت صيحة عالية قادمة من ناحية الجبل ، وانهمرت الرماح فوق المجموعة الصغيرة جرح العديد من الرجال ، وأطيعت اوامر جيثرو وأخمدت النيران .

صاح جيثرو : « فلتظلوا مختبئين ، حتى تستطيعوا رؤيتهم بوضــــــوح . ولتكن حرابكم جــاهزة عندما يهاجمون ! » .

اكتشف الرجال على الفور من خلال هدوء جيثروا أنه متمرس على القتال ، وبالتالى أطاعوه خلال لحظة أو لحظتين أمكن مشاهدة مجموعة من الرجال تقترب أكثر . انتظر المصريون حتى اقتربوا بما فيه الكفاية ، ثم أمطروهم بوابل من الســــهام . كانوا يشــدون أقواسهم بأقصى ما يستطيعون من سرعة ، ثم قابلوا الأعداء وجها لوجه بحرابهم وسيوفهم وفؤوسهم .

وكلما كان اللصوص يتسلقون الساتر المنخفض كان يلقى بهم او يقتلون وبعد قتال شرس توقف القتال فجاة كما بدأ .

قال جيثرو : « لا اعتقد أنهم سيعاودون الكرة ، لأنهم اكتشفوا أننا أقوياء ومسلحون اكثر مما توقعوا .. لكننا لا نعرف أساليبهم ، ومن الأفضل أن نظل يقظين »

بعد مرور ساعة ، لم يحدث اي شيء . اشتعلت النار ثانية وبدأ فحص الجرحى . قتل ستة عشر رجلا ، بالرماح . وعثر على سبعة وثلاثين رجلا من اللصوص قتلى داخل الساتر الصغير . اما عدد الذين سقطوا خارج الساتر فلم يعرف على الاطلاق ، لأن اللصوص حملوا قتلاهم وجرحاهم . وعندما انتهى القتال اسرع شيبرون الى القارب لطمأنة الفتاتين .

في اليوم التالي واصلت الرحلة طريقها دون مزيد من المتاعب . واخيرا وصلت القوارب الى مدينة

المقريف ، حيث ينبغى أن يتركوا النهر ويواصلوا سيرهم الى ساحل البحر ، دفع جيثرو أجر الرجال ، ثم وضعت الخطط للجزء التالى من الرحلة .

علم أن هناك بعض الآبار فى الأماكن التى سيتوقفون فيها على طول الطريق ، وأن أهل الصحراء شرسون وخطرون ، ومن عادة التجار المسافرين عبر ذلك الطريق أن يدفعوا لهم نقودا أو بضائع ليسمحوا لهم بالمرور . ولهذا السبب كان معظم المسافرين يختارون الطريق الأطول عبر الحبشة لأنه أكثر أمنا .

كان هناك رجلان يحكمان أهل الصحراء . فبعث جيثرو برسالة الى أقربهما يطلب فيها السماح له بالمرور بأمان خلال أرضه . وعرض أن يدفع المبلغ المعتاد ، وانتظر وصول الرد .

بعد أسبوع حضر أربعة رجال الى البيت ، وقالوا انهم على استعداد لقيادتهم عبر أرض حاكمهم . كان جيثرو قد رتب كل شىء مع رئيس المدينة ليمده باثنى

عشر رجلا ، ليحملوا امتعتهم التى سيحتاجونها خلال الرحلة ، وكذلك البضائع التى اشتراها من المقريف .

إكتشف جيثرو أن الفتاتين لن تستطيعا مواصلة الرحلة عبر الجبال وهما على هذا النحو ، لذا فقد فكر أنه من الأفضل بالنسبة لمايسه وروث أن ترتديا زى الصبيان ، لأن وصول فتاتين مصريتين الى مدينة ساحلية ، سيثير الكثير من الأسئلة ، وينكشـف سرهم .

فى الساعات القليلة الأولى من بداية الرحلة ، استمتعت الفتاتان بتغير الرحلة من نهرية الى برية . لكن قبل أن يحل الليل كانت الفتاتان فى غاية الاجهاد فقد كانت الشمس تضرب الجميع بقسوة حيث لا يوجد ظل شجرة أو شجيرة .. لم يعانوا من العطش كثيرا ، لأنهم كانوا يحملون معهم الكثير من الفاكهة الطازجة ، لكن اقدام الفتاتين سببت لهما آلاما مبرحة .

قالت مايسه متوسلة والدموع فى عينيها :
« أيمكننا أن نتوقف قليلا ؟ » .

هز جيثرو راسه وقال : « يجب أن نسـير لمدة ساعتين على الاقل حتى نصل الى الآبار . رحلة اليوم الأول ست ساعات متواصلة » .

أرادت مايسه أن تقول بأنها لا تستطيع السير اكثر من ذلك ، لكن روث همست فى اذنها :

ـ « لا ينبغى أن نضـعف ، يا مايسه .. لقد وعدناهم ، اذا اخـذونا معهم ، باننا سـنتحمل كل الصعوبات والأخطار دونما شكوى » .

بعثت هذه الكلمات بروح جديدة فى قلب مايسه ، فواصـلت سـيرها فى صمت حتى وصلوا الى منطقة الآبار .

قال جيثرو : « ارى انكما سرتما بشجاعة تامة ، وانا أرى كم انتما متعبثان ، ستكون رحلة الغد اقصر كثيرا » .



قالت روث لمايسة : لابد أن نتحمل الصعاب

كان من الطيب أن تكون رحلة الغد كذلك ، لأن الفتاتين اكتشفتا أن المشى صعب وانهما فى حاجة للاعتماد على ذراع جيثرو حتى الوصول الى مكان التوقف التالى .

كان جيثرو يعلم كم تعانى الفتاتان . لذا أخبر رجاله بأنهم لابد أن يستريحوا اليوم التالى ، وبرر ذلك بأن ولديه لم يتعودا على السير . وافق الرجال بعد أن وعد كلا منهم بهدية عند انتهاء الرحلة .

كان ليوم الراحة أثر كبير على الفتاتين . رغم أن أقدامهما كانت لاتزال تؤلمهما ، لكن بعد لفها بقطع من القماش ، اكتشفا ان ذلك أكثر راحة من الأحذية .

فى اليوم التالى سارت المجموعة عبر واد به مجرى صغير يمتلىء بالماء من الجبال فى الأيام المطيرة . وبدت لهم الجبال فى البداية من كلا الجانبين على بعد كبير

منهم ، لكنهم كلما ساروا رغم آلامهم ، أصبحت الجبال وكأنها جدران عالية تحف بالمجـــــرى الجاف من كلا الجانبين .

قال جيثرو الى الفتاتين عندما وصـــلوا الى مكان التوقف التالى : « لقد انتهى الجزء الصعب الآن ، وسوف تجدان أن السير كل يوم سيصبح أسهل لقد قمتما بأكثر مما كنت أتوقع ، وأنا أشعر بأمل كبير الآن فى الوصول الى نهاية الرحلة بأمان ! »

الفصل السادس والعشرون

زوار غربـــاء

فى اليوم السابع وبعد أن بدأوا سيرهم سمعوا صوت تهشم أفرع الأشجار الموجودة بأعلى التلال . وسرعان ما ظهرت أربع أو خمس رؤوس حيوانات ضخمة فوق مستوى الشجيرات التى تغطى جوانب التلال . ورغم أن أحدا من رفاق جيثرو لم ير فيلا فى حياته الا أنهم تعرفوا عليه من خلال الصور والتماثل التى رأوها لتلك المخلوقات .

سأل جيثرو رجاله : « هل ستهاجمنا ؟ »

رد أحد الرجال : « هى لا تفعل ذلك عادة ، لكن من الأفضل أن نبتعد عن طريقها » .

فأشــــار جيثرو الى أهم المنقولات قيمة وبعض

حقائب الطعام . فحملها الرجال على ظهورهم وانطلقوا خلال الشجيرات فى الجانب المقابل من الوادى وأخفوا أنفسهم .

كانت الأفيال فى تلك الآونة قد وصلت الى أسفل الوادى ، ورفع رئيس مجموعة الرجال يده لكى يلتزموا الصمت حبسوا انفاسهم وانتظروا . فسمعوا صوت اقدام الفيلة الثقيلة تحطم الشجيرات ، وأخيراً رفع جيثرو نفسه ببطء ليرى ماذا يحدث . كانت الأفيال تتفحص الأحمال التى تركوها .

فهمس قائلا وهو يجلس ثانية : « اعتقد انها ستأكل كل طعامنا »

وبعد مرور نصف ساعة ، سمعوا ثانية صوت تهشم الشجيرات فتطلع جيثرو ثانية .. فصاح :

ـ « حمدا للآلهة ! انها تبتعد » .

كانت الشجيرات تتهشم تحت اقدام الفيلة وهى تسير ببطء فى طريقها الى أعلى التل ، وكأنها اعشاب

جمع جيثرو مجموعته ، عندما اختفت الأفيـــال عن الانظار ، وعادوا الى المكان الذى تركوا فيه حاجياتهم فانطلقت منهم صيحات دهشـة عندما وصلوا .

لقد بعثر كل مخزونهم بشكل فوضـــوى . حتى الخيام والملابس وجدوها معلقة على أفرع الأشجار ، كما لو ان الأفيال قد ألقت بها فى سورة غضب ، كل ما يمكن اكله ، انتهى بل ان الأفيال قطعت قرب النبيذ وشربته كله .

ومضت ساعات قبل ان يجمعوا باقى اشيائهم .

وبعد ثلاثة ايام وصلوا الى قرية صغيرة تقع عند بداية حدود الحاكم الثانى الذى يقع الطريق المؤدى الى البحر الأحمر فى أرضـه . عند هذا الحد تركه الرجال الذين قدموا معه . وحل محلهم آخرون من القرية . لم تكن هناك مشكلة فى الحصول على باقى متطلبات الرحلة من خبز وفاكهة ودقيق . وبعد راحة لمدة يوم واحد واصلوا سيرهم .

بعد مسـيرة اسـبوعين وقفوا على قمة الجبل الأخير ، وتطلعوا عبر الصحراء الممتدة أمامهم ورأوا البحر الفسيح يتلألأ تحت أشعة الشمس .

وصلوا الى المدينة المصرية الساحلية بعد يومين من السير تحت أشعة الشمس القاسية ، وفوق الرمال الحارقة . وعندما دخلوا المدينة قابل أحد الضـباط جيثرو وأمره أن يذهب معه الى قائده . أخذ شيبرون معه ، وترك أموبا لاجراء ترتيبات استئجار بيت صغير مدة اقامتهم فى المدينة انتظارا لاحدى السفن .

ويبدو أن القائد لم يبد اهتماما على الاطلاق بجيثرو أو عمله . فسأله جيثرو عدة أسئلة عن أحوال البلاد التى تقع فى الناحية الأخرى من البحر .

قال : هناك مجموعة من التجـار من الناحية الأخرى من البحر ، ترغب فى عبور الجبال الى سمنخ أو ميروى .. لكنى احتفظت بهم هناك حتى تصـلنى انباء من كلا المكانين . لو أن أى أذى لحق بهم فى طريقهم ، فسوف الام على ذلك .

وبعد نهاية الاسبوع كان جيثرو قد اتفق مع سفينة تجارية ، تحمل بضائع الى مختلف المدن الساحلية ، لكى تنقلهم شمالا الى مدينة ارسينوى (السويس الآن) .

كانت الرحلة طويلة ومتعبة ، والريح خفيفة فى أغلب الأحيان ، حتى أن السفينة لم يكن يبدو أنها تتحرك . والحرارة شديدة بشكل فظيع لم يعهدوه من قبل اثناء رحلتهم . توقفوا فى كثير من المدن على الساحل الشرقى لا تقع تحت السيطرة المصرية .. كان ربان السفينة يبيع فى هذه الأماكن بضائع صنعت فى مصر ويشترى أشياء يبيعها فى أماكن أخرى .

قبل بداية الرحلة قرر جيثرو أنه ينبغى عليهم مغادرة السفينة فى ألينا وليس فى أرسينوى كما اتفقوا مع ربان السفينة . وكانت تلك مدينة تقع فى نهاية الخليج الشرقى للبحر الأحمر . (العقبة الآن) بذلك لن يضطروا للمرور على المنطقة الشمالية لمصر ، فمن المحتمل أن ضباط الملك مازالوا يبحثون عنهم ..

كانوا حريصين جدا على ألا يعرف ربان السفينة شيئا عن خطتهم .

وبينما كانت السـفينة مبحرة فى هذا الخليج تظاهرت مايسه بالمرض الشديد . وحقيقة لم تكن بها حاجة للادعاء ، فقد عانت الفتاتان من شدة الحرارة وأشعة الشمس الفظيعة على سـطح الماء بما فيه الكفاية .

وما ان وصلوا الى ألينا ، حتى حملها جيثرو الى بيت بالمدينة ، التى كان يوجد بها عدد قليل من المصريين تحت قيادة ضابط . فأبدوا اهتماما كبيرا بالمسـافرين اذ اعتقدوا أنهم تجار . كانت المنطقة التى تمتد خارج حدود المدينة لا تقع تحت السيطرة المصرية . فهى منطقة صحراوية ، لا تستحق مشقة الاشراف عليها .

بعد يومين عاد جيثرو الى ظهر السـفينة واخبر الربان أن ابنه مازال مريضا حدا ، ولا يستطيع مواصلة الرحلة .

وقال له انه طالما سيتحتم عليه الانتظار لفترة طويلة لحين وصول سفينة أخرى ، فهو يرغب فى شراء بعض البضائع منه ليتاجر فيها مع أهل المدينة . وافق الربان على ذلك فورا . فقدم البضائع لجيثرو بسعر أقل ، عندما تيقن أنه لن يرد اليه باقى النقود التى دفعها . اشترى جيثرو بعض الملابس المصرية من مختلف الالوان وبضائع مصرية أخرى ، كما ينبغى لأى تاجر أن تتوفر معه كل تلك البضائع . كما اشترى أيضا أسلحة لنفسه ولرفاقه .

الفصل السابع والعشرون

غبـــار وحـــر

بعد أن أبحرت السفينة ذهب جيثرو لمقابلة الضابط المصرى ، وقدم له هدية مناسبة ، ووجد فيه صديقا نافعا ، اذ استطاع بمســـــاعدته أن يبدأ فى الاعداد للرحلة عبر الصحراء .

قال جيثرو : « لم استطع مواصلة الرحلة بالسفينة لأن ابنى مريض جدا . سوف أضطر للبقاء فترة طويلة قبل أن تصل سفينة أخرى ، لذا فأنا أفكر فى السفر الى موآب ، لأبيع ما تبقى من بضاعتى هناك » .

قال المصرى : « سيكون ذلك متاحا اذا وصلت الى موآب ، لأن التجار عادة ما يســـتقبلون استقبالا جيدا هناك . لكن الرحلة من هنا لا تخلو من اخطار .

فلابد أن تمر بمناطق لا تخضع لسيطرة حاكم . فأهل الصحراء الرحل يهاجمون أى أحد يقابلونه . لا يكتفون بسلب بضائعهم ، بل يقتلونهم أو يأخذونهم كعبيد .. فاذا وصلت الى موآب فأنت آمن كما لو أنك كنت مسافرا الى غرب البحيرة المالحة ، التى يجرى فيها نهر الأردن .

فسأله جيثرو : « هل الرحلة بين ذلك المكان والبحيرة المالحة صعبة ؟ » .

ـ « هى ليست صعبة فى الحقيقة ، الا اذا أخذت معك ماء كافيا أثناء الرحلة لأن الآبار قليلة وجافة فى الغالب . والمنطقة مكشوفة طوال الطريق . ورغم أن الطريق صخرى وعر ، الا انه لا يشكل صعوبة على الاطلاق . لكننى أعتقد انه قد يكون من الأفضل أن تترك ابنك هنا » .

قال جيثرو : « كلا ، فهو الآن أحسن كثيرا . وهو يفضل السفر معى أكثر من بقائه هنا . لو اننا ذهبنا

عبر أراضى هؤلاء الناس غرب البحيرة المالحة ، ونهر الأردن ، فسوف تكون الرحلة أقصـــــر بالنسبة لنا للوصول الى أى مدينة على ســـاحل البحر الأعظم ، ويمكننا من هناك ان نأخذ سفينة الى بيليزيوم ونصل الى وطننا قبل أن ننتظر وصول ســــفينة تأخذنا من هنا » .

فقال المصرى : « لابأس فى ذلك ، لكن الخطر يكمن أساسا فى الجزء الأول من الرحلة . والتجار الذين يسافرون الى بالميرا عن طريق موآب ، يسافرون بصحبة مجموعات قوية مسلحة من الرجال لحمايتهم . ولقد سافرت مجموعة منذ عدة أسابيع مضت ، وليس قبل شهر حتى تسافر مجموعة اخرى .

سأله جيثرو : « ما هى الدواب التى ينبغى ان آخذها معى ؟ » .

ــ « الجمال دون شك هى الأفضل . يوجد فى المدينة الآن رجل لديه ستة أو سبعة جمال ، على ما أعتقد . جاء مع المجموعة الأخيرة من التجار ، لكنه

مريض جدا بحيث لا يمكنه العودة . لكنني أتوقع أن يسعد بالذهاب معك . سأبعث معك جنديا يصحبك » .

اكتشف جيثرو أن الرجل لا يريد العودة وحده الى بلده ، القريبة من ميديا ، وهو نفس الاتجاه الذى يرغب جيثرو السفر فيه . رفض الرجل الذهاب الا اذا دفع له جيثرو أجر عشرة رجال مسلحين للسفر معهم لحمايتهم حتى موآب . وافق جيثرو ، وأسرع الى البيت وأخبر رفاقه بنتيجة حديثه مع صاحب الجمال .

قال : « لقد رتبت لرحلتنا حتى بالميرا فقط ، فقد طلب الرجل عشرة رجال مسلحين ، لكننا سنأخذ اثنى عشر . لقد أنفقنا القليل جدا من النقود التى تركها والدك . والباقى كثير . كما أن النقود التى حصلت عليها من بيع بضائعنا فى سمنح أكثر مما دفعته للرحلة فى أعالى النيل . لذا ، فسوف ننفق هذه النقود فى المرحلة الخطيرة من رحلتنا . ولقد أخبرت صاحب الجمال أننا سوف نبدأ رحلتنا بعد أسبوع . ليس من الحكمة أن ندعهم يشعرون بأننا فى عجلة كبيرة من

امرنا . وانت يا مايسه لا ينبغى عليك ان تتظاهرى بالشفاء السريع .

عند نهاية الاسبوع كان جيثرو قد جمع الرجال الاثنى عشر ، وكلهم من اصحاب الخيول . والأجر الذى كان من المقرر أن يدفع لهم ، سلم الى الضابط المصرى ، ليدفعه لهم عندما يعودون ومعهم خطاب من جيثرو ، يقول فيه ، أنهم أدوا واجبهم على اتم وجه .

عندما علم صاحب الجمال أنهم قرروا السفر عن طريق شرق البحيرة المالحة ، قال ان ذلك قرار غير حكيم ، ومن الأفضل لهم أن يسلكوا طريق البتراء الى هسبون فى موآب . فهذا هو الطريق الذى يسلكه عادة بصحبة مجموعات التجار حيث تنتشر القرى على بعد مسافات قصيرة ، ولن يكون هناك صعوبة فى الحصول على الماء .

قال : « ان جمالى تستطيع قطع مسافات طويلة دون ماء ، وتسلك طريق الوادى ، لكن الخيول من الممكن ان تعانى كثيرا من العطش » .

سعد جيثرو لمعرفته ان الرحلة ستكون اقل تعبا مما ظن اولا . رتب كل شيء ، وبدات الجماعة رحلتها بعد الفجر مباشرة .

كانت الفتاتان ماتزالان ترتديان زى الصبيان ، وركبتا فى خرجين على جانبى أحد الجمال . كان صاحب الجمال يسير فى المقدمة ويسحبها بحبل ، وتتتابع باقى الجمال فى صف طويل ، كل جمل مربوط فى الجمل الذى أمامه فى حين كان جيثرو وأموبا وشبيرون ، وكلهم مسلحون بالسهام والحراب بالاضافة الى السيوف ، يركبون خيولهم بجوار جمل الفتاتين . فكان نصف الرجال يسير فى المقدمة والنصف الآخر فى المؤخرة .

سأل جيثرو صاحب الجمال : « ما هو أخطر جزء فى رحلتنا ؟ »

اجاب : « الجزء الأول . واذا ما وصلنا الى البتراء سنكون فى أمان . سنمر أولا خلال منطقة وعرة جدا ، ومن المحتمل أن نقابل هناك أهل الصحراء الرحل فى رحلاتهم من والى جبل سيناء . والجبال المنحدرة التى

على يسارنا مكان مناسب جدا بالنسبة لهم للاختفاء فيه . من هناك يقومون بمراقبة المسافرين وينقضون عليهم » .

ــ « كم سنستغرق من الوقت حتى نصل الى البتراء ؟ » .

ــ « بعد ثلاثة أيام من المشى . لكن اذا كانت الدواب فى حالة طيبة ، يمكننا أن نصل خلال يومين ، اذا بدأنا السير مبكرا » .

قال جيثرو : « دعونا نسرع اذن ، وبالتالى يمكننا أن نظل فى البتراء يوما لاراحة الدواب . والآن هيا لنعبر تلك المنطقة الصحراوية الخطرة بقدر ما نستطيع » .

أشرقت الشمس فى سماء صافية . كانت حرارتها القوية تنعكس من صخور الجبال ومن الرمال البيضاء الممتدة بين الصخور التى تغطى كل مكان فى السهل .

وشعر المسافرون كما لو أنهم يســــيرون خلال نار مشتعلة .

رغم ذلك واصلوا السير دون توقف . فيما عدا مرتين توقفا فيهما للراحة والأكل . وعندما أصـــبحت الشـــمس بالقرب من الأفق الغربى بدأوا فى اعـــداد معسكرهم لقضاء الليل . كانت معهم قرب ماء كثيرة ، فشربت الخيول منها . واستراحت الجمال ، بأن ناخت على ركبها وغرس الرجال حرابهم فى الأرض ، وربطوا خيولهم بها ، على شكل دائرة حول الخيمة .

بعد تناول العشاء ساد صمت فى المعسكر . فقد كانت الرحلة شاقة ومتعبة . فاستلقى الرجال على الأرض بجوار حرابهم ، وسرعان ما ناموا فى حين ظل أربعة منهم متيقظين للمراقبة . كان جيثرو قد اتفق مع أموبا وشييرون على مداومة المراقبة ايضا اثناء الليل .

رغم أن الجميع كانوا يعتقدون ، بأنه اذا حدث هجوم فلن يقع الا قبل طلوع النهار .

قال صاحب الجمال : « لن يكون فى استطاعتهم أن يأخذونا على غرة ، لأنهم لا يمكن أن ينزلوا من فوق الجبال دون أن نسمعهم . واذا هوجمنا فسيكون ذلك عند الفجر .

لذلك نفذ حرص جيثرو على أن يقوم شـــيبرون بالمراقبة أولا ، ثم أموبا بعد ذلك . أما جيثرو نفســـه فسيقوم بالمراقبة خلال الساعات الأربع قبل الفجر .

الفصل الثامن والعشرون

الهجــوم على المعســكر

مر الليل دون بوادر لأى انذار . وعند الفجر قدمت الحبوب والمياه للخيول . وتناولت المجموعة افطارها بسرعة وشرعت فى المسير عندما بزغت الشمس . لم تكد المجموعة تسير مسافة ميل واحد ، حتى ظهرت عصـــابة من الرجال متجهة نحوهم ، قادمة من خلف سلسلة الجبال المتمدة فى السهل . كان عددهم مائة رجل ، عشـــرون يمتطون الجياد ، والباقون كانوا مترجلين . فتوقف المسافرون على الفور . وتقدم جيثرو ورجل من المجموعة لمقابلة الرجال ملوحين بقطعة قماش بيضاء كرمز للمودة ، وتقدم رجلان من أهل الصحراء لمقابلتهما ، ومضى بعض الوقت قبل أن يعود جيثرو لرفاقه المنتظرين .

ســــــأله اموبا عندما عاد : « ماذا يقـــــولون ، ياجيثرو ؟ »

ـــ « قائدهم يقـــول اننا لابد أن ندفع لهم حتى يسمحوا لنا بالمرور في أرضهم . فقلت يسعدنى أن أدفع لو أننى عرفت أى شىء عنه . وبعد ذلك قدمت له بعض أكباس الملابس المصرية ، لكنه رفضها ، ثم قال لى بصراحة تامة انه ينوى الاســـتيلاء على كل بضائعنا ودوابنا ، ويمكننا بالتالى أن نكمل رحلتنا مشيا على الأقدام . قلت له لابد أن أتكلم أولا مع رفاقى .. واذا اتفقنا ، فسنجعل الراية البيضاء خفاقة » .

قال أموبا : « لابد اذن أن تنزل الراية على الفور ، ياجيثرو . فمن المحتمل أن يقتلونا بعد أن يستولوا على كل شىء . من بيننا ثلاثة وعشرون مسلحون تسليحا جيدا ، وبامكاننا أن نشق طريقنا وسطهم ، وبامكان الفتاتان أن تركبا خلفنا على الجمال » .

قال جيثرو : « أجل ، لكننا سنفقد كل بضائعنا ، التى سنكون فى أشد الحاجة اليها لنتاجر بها فى المدن

والقرى المختلفة التي سنمر بها . أعتقد انه من الافضل لو اننا شكلنا الجمال على هيئة مربع كما فعلنا ليلة أمس . وتقوم أنت وشيبرون ومعكما ست رجال مسلحون بالسهام والرماح بحراسة الجمال والفتاتين . اما بقيتنا فسوف تهاجم هؤلاء اللصوص . واذا استطعنا التعامل مع راكبى الجياد ، فاننى أتوقع فرار الآخرين » .

— « خطة ممتازة ياجيثرو . وبامكاننا أيضا أن نمنع مشاتهم من التقدم بواسطة سهامنا ورماحنا اذا جرؤوا على مهاجمتنا . فباستطاعتى أنا وشيبرون أن نصيب أى رجل على بعد مائة ياردة باحكام » .

اختار أموبا ستة رجال قالوا انه باستطاعتهم استعمال الأقواس . قيدت خيولهم ووضعت خارج مربع الجمال . استلقت الفتاتان على الأرض ، ووضعت الحمولات خارج المربع لحمايتهما . وعندما أصبح كل شيء جاهزا ، أنزلت الراية البيضاء وانطلق جيثرو مع اربعة عشر من رجاله بكل سرعتهم لمواجهة أعدائهم .

انطلق راكبو الخيول لملاقاتهم ، وحافظ رجال جيثرو على أن يكونوا صفا واحدا . واستطاعوا بحرابهم المشرعة أن يخترقوا صفوف الأعداء ويفرقوها .. تدحرجت الخيول والرجال معا ، وقتل كثير من اللصوص على الفور . وصاح جيثرو على رجاله بأن يتوقفوا ، ويدوروا دورة ، ثم يهجمون ثانية فى صف متماسك .

فر بعض الرجال تجاه المشاة ، الذين كانوا قادمين لنجدتهم فى تلك اللحظة ، لكن جيثرو ورجاله تتبعوهم وقتلوهم . وقد حارب آخرون حتى النهاية لكن دون أمل ، فقد قتلوا فى النهاية .

عندما اقترب اللصوص الآخرون المشاة أكثر ، طلب جيثرو من رجاله أن يلتحموا ثانية فى صف واحد، ثم يهاجموا . قاتل اللصوص بشجاعة . وحاصروا المجموعة الصغيرة ، ورموها بالسهام والرماح والسيوف . انطلق جيثرو يضرب ناحية اليمين واليسار بفأسه الثقيلة . وحافظ رجاله على أن يكونوا قريبين منه . وبعد قتال عنيف شقوا طريقهم وسط الأعداء .

أعيدت الكرة مرات ومرات ، حتى انهزم اللصوص وفروا الى الجبال ، وتركوا خلفهم اثنى عشر قتيلا من المشاة وكل راكبى الجياد .

حانت الفرصة لجيثروا أن يتطلع حوله . فاكتشف لأول مرة ، كما كان يظن ، انه لا يقاتل كل الأعداء فبينما كان يقاتل خمسين رجلا ، اتجهت باقى مجموعة اللصوص ناحية الجمال ، وكانوا يحاصرونهم فى تلك اللحظة .

وبصيحة منه لرجاله أن يتبعوه ، انطلق جيثرو بكل سرعة تجاههم ، وشق طريقا وسطهم بفأسه .

وحقيقة لقد تأخر بعض الشىء . فقد كان هناك قتال شرس ، حيث نفذ بعض اللصوص الى داخل المربع ، ولاقوا مقاومة من أموبا وشيبرون وأحد الرجال بينما كان الباقون يصدون الهجوم من الناحية الأخرى . وفور وصول جيثرو ورجاله توقف القتال .

قال اموبا : « لقد تأخرت بعض الشيء ياجيثرو » .

اجاب جيثرو : « لقد تأخرت بالفعل ، ففي خموة القتال لم الحظ أنهم هاجموا المربع . أخشى الا تكون اصابتكما بالغة . هل الفتاتان سليمتان ؟ »

نهضت مايسه وروث على أقدامهما عندما توقف القتال .

اجابت مايسه : « نعم . لكن جروحثلاثتكم شديدة»

فقال جيثرو : « ان جرحي بسيط ، دعونا نفحص جرح شيبرون أولا » . ذلك لأن شيبرون جلس واستند الى أحد الجمال .

قال شيبرون بصوت واهن : « لا تنزعجوا . فقط فقدت كمية كبيرة من الدم . ولقد حمى درعي جسدي » .

بعد فحص جروحهم بعناية ، أكتشف أن الشابين قد جرحا في ساقيهما بسبب الرماح . كما أن صدغ

شيبرونجرح من اثر ضربةسيف كما أن هناك اثر لضربة حربة فى جنبه . أما أموبا فقد كانت به جروح غائرة فى كتفيه . تناول جيثرو بعض قطع القماش وغسل الجروح بالماء ، وربطها بقطع نظيفة ، بعد ذلك توجه لرؤية الرجال الذين تم مساعدتهم من قبل رفاقهم . لقد قتل واحد من الذين كانوا يحرسون المربع ، وأصيبه ثلاثة آخرون اصابات بالغة .

ومات من مجموعة جيثرو اثنان ، وجرح الجميع ولولا الدروع التى كانت تحمى اجسادهم ، لما بقى منهم الا القليل على قيد الحياة .

اما الرجل صاحب الجمال فلم يصب بأذى ، لأنه اختبأ تحت حمل من الملابس . بعد أن تم تنظيف جروح المصـــابين وربطها بقطع من القماش النظيف . قدم للجميع الماء والنبيذ .

كان هناك ثلاثة رجال اصاباتهم بالغة حتى انهم

لم يستطيعوا ركوب جيادهم ، فتم رفعهم بعناية فوق حمولة من الملابس فوق احد الجمال .

وبدأت المجموعة سيرها ببطء شديد ، لأن بعض الرجال كانوا يجلسون على جيادهم بصعوبة .

وعندما وصل المسافرون الى البتراء ظلوا هناك لمدة أسبوع حتى شفيت جراحهم .

الفصل التاسع والعشرون

نهايـــة الرحـــلة

واصلت الرحلة سيرها دون متاعب حتى موآب . عندما وصلوا الى هناك استعد الرجال الذين صاحبوهم للعودة . وتلقى كل منهم هدية بالاضافة الى النقود التى وعدوا بأخذها فى الينا . وبعد رحيلهم من موآب سلك الرفاق طريق الصحراء الى الشمال الشرقى . مروا بمدينة بالميا وواصلوا طريقهم الى نهر الفرات . فأصبحوا فى آشور ثم أكملوا مسيرتهم نحو الشمال حتى وصلوا الجبال الواقعة بين آشور وبحر قزوين .

قابلتهم على الطريق العـــــديد من العقبات التى أخرتهم فلم يصلوا الى بلاد ميداس الا بعد ستة شهور من خروجهم من ايلانا . وأهل ميداس رعاة رحل ، مثل سكان الريباس ، الذين كانوا أصدقاء لهم .

ورغم أن جيثرو وأموبا شعرا بالأمان الآن الا انهما صمما على الاستمرار كتاجرين حتى يكتشفا ماذا حدث فى بلاد الريباس . وساروا بهدوء فى طريقهم باتجاه الشمال حتى وصلوا الى أول قرية من قرى الريباس .

تحدثوا كثيرا عما سوف يفعلونه عندما يصلون الى بلاد الريباس . فلو كان جيثرو وحده لأمكنه أن يخبر القوم بحقيقة شخصيته ولكانوا استقبلوه بحفاوة لنجاحه فى الفرار من المصريين . أما بالنسبة لأموبا ، فقد يكون فى ذلك خطر عليه ماداموا لا يعرفون من هو حاكم البلاد .

لم تكن لدى أموبا رغبة حقيقية فى أن يصبح ملكا للريباس . فكل ما كان يرغب فيه ، هو العيش فى هدوء ودعة على أرض الوطن .

سرعان ما بلغتهم الأخبار بأن فرقة من الجنود المصريين باقية فى العاصمة ، وأن أهل البلاد مرغمون على دفع مبلغ ضخم من المال كل عام كجزية لمصر .. كما علموا كذلك أن أمازيس قام بتنصيب نفسه ملكا على

البلاد عقب مغادرة الجيش المصـــــرى الكبير للبلاد وبصحبته العبيد . وأصبح صديقا للضباط المصريين ، وبالتالى كان مكروها من الناس . كما أنه قتل كل أعضاء أسرة الملك السابق الذين يحق لهم أن أصبحوا ملوكا على الريباس .

ودارت مناقشات طويلة بين أموبا وجيثرو حول ما ينبغى عليه أن يفعله الآن بعد أن علم أن الملك الحالى هو عدوهم .

لكن أموبا ردد : « أنا ليس بى رغبة لأن أكون ملكا » .

قال جيثرو : « لقد ولدت لتكون ملكا ، أيها الأمير أموبا . الأمر ليس بإرادتك . ومصلحة الشعب تقتضى الاطاحة بأمازيس ، وأن يرتقى العرش الملك الشرعى »

ثم واصل كلامه بابتســـــامة : « أنا لا أعتقد أنك أحضرت مايسه ، عبر هذا الطريق الطويل وكل هذة المخاطر ، لكى تتخلى عنها ! فأنا أتصور من خلال ما

رايته فى الست شهور الاخيرة ان لديك خططا مختلفة تماما » .

قال اموبا بعد فترة صـــمت طويلة : « انت على صواب ، ياجيثرو . ان واجبى يملى على ان آخـــذ مكانى واحرر وطنى . ما هى فى رايك احســـن خطة نتبعها ؟ »

ـــ « لابد أن نمضى فى سيرنا عبر البلاد حتى نصل الى مدينة بالقرب من البحر . هناك يتحتم علينا أن نترك الفتاتين عند عائلة تاجر فارسى . وعندما نترك الفتاتين هناك نواصل رحلتنا . سنقابل كل رؤســـاء المدن والقرى ، وكل الناس الآخرين الذين لا يرضيهم الحكم الحالى الآثم . وهكذا نستطيع أن نجمع الكثير من الأعوان ونهاجم الملك . من المؤكد أن هناك العديد من الرفاق القدامى مازالوا على قيد الحياة . ينبغى الا تكون هناك صعوبات فى تجميع أكبر عدد من الرجال للسيطرة على المدينة على حين فجاة » .

كان جيثرو معروفا للعديد من الناس . واثناء تنقله

بين البلاد كان يخبرهم بأنه قد استطاع الهروب من مصر وبصحبته أموبا . ونجح فى إقناعهم بأن رفيقه ينتظر فى فارس حتى يستدعى ليأخذ مكانه كملك . وقد قوبلت أخباره هذه بكثير من الفرح والسعادة .

قال جيثرو : « انا اعتزم تكوين جيش من الرجال للقبض على أمازيس البغيض ، بعد ذلك لن يبقى أمامنا سوى المصريين كي نتعامل معهم » .

فى كل منطقة كان يمر بها جيثرو كان الشباب ينضمون الى جيشه . وصدرت لهم الأوامر بأن يلتزموا الهدوء التام وأن يسلحوا انفسهم سرا . وأن ينتظروا حتى تصل رسالة تخبرهم أين ومتى يتقابلون .

خلال ستة أسابيع انضم للجيش ما يكفى من الرجال . وعلى هذا حدد لهم جيثرو اليوم الذى سيلتقون فيه بمنطقة التلال على بعد أميال قليلة من المدينة . وقام باستقبال كل فرقة عند وصولها وعين قادتها .

وبحلول المساء كانت كل الفرق قد وصلت . وتبين

لجيثرو انهم جميعا على اتم الاستعداد للقتال ومسلحين جيدا . فأمرهم بالاصطفاف ، ومن خيمته قدم لهم أموبا مليكهم .

ارتفعت الصيحات العالية من بين صفوف الرجال التى اختلت واندفع كل فرد منهم الى الامام ليلقى بنفسه تحت اقدام أموبا ، للترحيب به ملكا عليهم . واقسموا أن يتبعوه الى أى مكان يود أن يقودهم اليه .

خلال أسبوع كانت الخطط قد جهزت تماما . ووقع على جيثرو مهمة دخول المدينة نهارا ، بصحبة مائتى رجل مختارين ، بعضهم كان سيصل الى المدينة عن طريق البحر . والآخرون يدخلون المدينة فرادى من خلال بوابات المدينة ، على أن يلتقوا منتصف الليل فى ساحة مفتوحة أمام القصر . أما أموبا وبقية الرجال ، فكان عليه أن يقترب من المدينة فى وقت متأخر من المساء ، وينتظر بالقرب من احدى البوابات .

تحرك رجال جيثرو أولا ، ودخلوا المدينة واحدا واحدا أو فى مجموعات تتكون من اثنين أو ثلاثة . أما

جيثرو نفســـه فقد كان آخر من تحرك بعد أن ألقى بأوامره لكل مجموعة عندما انطلقت . كما إتفق معهم أيضا ، بأنهم اذا سمعوا صيحته فى أى وقت ، تتردد على لسان شخص أو شخصين ، فعليهم أن يسارعوا اليه فورا .

ــ وقال عندما كان يخبر أموبا بالأوامر التى اصدرها :

« أنتم لا تعرفون أبدا ما يمكن أن يحدث . وأنا على يقين بأن كل رجل هنا مخلص لك ، لكن دائما ما يكون هناك شخص فاسد فى المجموعة . فكلمة عن غير قصد أو عراك مع أحد رجال الملك ، قد تؤدى الى كشف رجالنا المسلحين » .

سارت الأمور على ما يرام . ودخل الرجال المدينة دون أن يلحظهم أحد . أما أولئك الذين جاءوا عن طريق البحر من أهل القرى المنتشرة على الشاطىء ، فقد تجمعوا فى جزء من المدينة بالقرب من البحر . فى حين أن الذين دخـــلوها فرادى من البوابات كانوا

يتجولون في ارجاء المدينة فرادى او كل اثنين معا .. ولما كانت اسلحتهم مختفية تحت ملابسهم لم يلحظ احد اى شىء . أما من لديهم أصدقاء فى المدينة فقد توجهوا اليهم .

توجه جيثرو على الفور الى بيت أحد الأصدقاء ، الذي بعث اليه برسالة من قبل . هناك ، كان يتلقى الأخبار من وقت لآخر ، من قواده ، واطمأن على أن كل شىء يسير على ما يرام . وعلم كذلك أن أنباء وصول أموبا الى الوطن قد أثارت خوف أمازيس . فقام هذا الصباح فقط بالقاء عدة شخصيات هامة فى السجن ، معروفة بصداقتها للملك الراحل .

أرسلت عدة فرق من رجال الملك للتحث عن أموبا ، واتجهت الي الأماكن التى انتشرت فيها الأنباء بوصوله اليها . كانت هذه أنباء طيبة بالنسبة لجيثرو . فقد اظهرت له أن الملك لا يتصور اى خطر بالنسبة للمدينة ، مما ادى الى قلة عدد الرجال المقاتلين بالقصر .

حرص جيثرو على البقاء فى بيت صديقه حتى حلول الليل ، لأنه كان معروفا جداً فى المدينة . لكن عندما حل الظلام خرج الى الشوارع ، فاكتشف أن تغيرات كثيرة قد حدثت منذ أن كان هنا آخر مرة . فقد هدم المصريون تماما كل البيوت فى أحد أجزاء المدينة ، وبنوا مكانها بيوتا كبيرة للقائد المصرى وضباطه . كما بنى سور عال حول ذلك الجزء من المدينة ، يفصل بينه وبينها تماما .

علم جيثرو أن المصـــــريين عندما انتهوا من بناء السور ، غضوا الطرف عن مراقبة بوابات المدينـــــة القديمة . ووضعوا بعض الجنود لمراقبة البوابة التى تؤدى الى بيوتهم عبر السور الجديد .

فى حوالى التاسعة مساء كان كل شىء هادئا .. بعث جيثرو رسالة الى أموبا ، وطلب منه أن يدخل المدينة عبر البوابات التى لا يوجد عليهـــا حراس . عندئذ يمكنه تحريك رجاله بالقرب من سور المصريين ويهاجم البوابة عندما تصله الأوامر .

فى الوقت المحدد توجه جيثرو الى البوابة المفترض أن يدخل منها أموبا . سرعان ما سمع ضجة خفيفة ، وبعد مضى عدة دقائق ظهر طابور طويل من الرجال عند البوابة ، يتقدمهم أموبا . شرح له جيثرو ما خططه، وترك صديقه مع أموبا ليدله على السور المصرى .

عاد جيثرو الى وسـط المدينة حيث تجمع رجاله بنظام . وفى هدوء عبروا الساحة الى القصر الملكى . عندئذ أطلق جيثرو صـيحته ، وعلى الفور اندفعت مجموعة مسلحة بالفؤوس الى الأمام ، وشرعوا فى تحطيم بوابة القصر الملكى الضـخمة . عندما تعالت الضجة فى هدوء الليل ، تعالت صرخات الدهشـة والخوف من ضباط الملك بالداخل . وسرعان ما تسلق السور رجال الحرس وبدأت الرماح تتساقط على رجال جيثرو . فى ذلك الوقت كانت بوابة القصر قد تحطمت تقريبا . بعد خمس دقائق من بداية الهجوم ، اندفع جيثرو على رأس رجاله من خلال البوابة المحطمة .

حاول الجنود فى الداخل بقيادة أمازيس نفسه أن

يوقفوهم . لكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلا أمام الهجوم الشرس لرجال جيثرو لأنهم أخذوا على حين غرة ، ونصف مسلحين . شق جيثرو طريقه وسط جموع الرجال المتقاتلة وهاجم أمازيس . قاتل أمازيس بشراسة فى ثورة غضبه وجنونه ، لكن سرعان ما أنهت فأس جيثرو الثقيلة القتال .. فقد سقط جسد امازيس دون رأس على الأرض فى بحر من الدماء .

الفصـــل الثلاثون

عـــاش المـــلك

لم يلاحظ أحد موت أمازيس وسط الظلام والفوضى حتى صاح جيثرو لرجاله أن يتوقفوا عن الهجوم . . وطلب من جنود الملك أن يلقوا بأسلحتهم . **وصاح :** « لقد مات ملككم . عـــاش أموبا ملك الريبـــاس الشرعى » .

ابتهج جنود أمازيس ، وأطاعوا الأمر ، لأنهم كانوا لا يكنون حبا حقيقيا له .

وواصل جيثرو : « نحن لا نقاتل أهلنا . المصريون أعداؤنا فقط . من المحتمل أن بعضكم يعرفنى : أنا جيثرو . هيا ، انضموا الينا وقاتلوا معنا ضد المصريين .. فمليكنا فى طريقه الآن لقتالهم .

لقد كان الخوف وليس الحب هو الدافع الذى جعل جنود أمازيس يقاتلون من أجله ، وعندما توقف جيثرو عن الكلام ارتفعت صيحات مثل « عاش أموبا ، ملكا للريباس ! » .

فأمرهم جيثرو : « انتظموا فى صـــــفوفكم وراء ضباطكم واتبعونا . وما ان انتهى من كلامه حتى انضمت القوات الملكية الى قوات جيثرو . وبعد لحظات كانت القوات كلها تسير تحت قيادته لمساعدة أموبا .

عندما وصلوا الى السور الذى يفصل المصريين عن باقى سكان المدينة ، علم جيثرو أن أموبا قد دخل المدينة بسهولة . وتم الاســـتيلاء على مبنين أو ثلاثة بجوار البوابة ، ولم يحدث أى تقدم فيما بعد ذلك .. فوجىء المصريون فى البداية ، لكنهم ســــرعان ما استجمعوا قواهم لكى يقاتلوا . واستطاعوا برماحهم أن يوقفوا تقدم الريباس .

أمر جيثرو رماة السهام بتسلق الســور ، ورمى نوافذ الأبنية المصرية ، ثم مضى مع الآخرين وانضم لأموبا .

قال : « لقد سار كل شىء على مايرام . تم الاستيلاء على القصر الملكى ، وأمازيس قتل ، لم أستطع فعل أى شىء أكثر من ذلك الليلة . وللعلم فان عدد المصريين يفوق عددنا مرتين ، ولا يمكن لنا أن نهزمهم فى قتال مباشر . سوف أبعث برسائل الى كل رؤساء المدن المجاورة أخبرهم فيها بأن أمازيس البغيض قد قتل . وعندما يعرفون أن ، الملك هو أنت الآن ، وأن المصريين محاصرون فى الجزء الخاص بهم فى المدينة ، فسوف يزحفون الى هنا بكل الرجال القادرين على حمل السلاح . خلال ثلاثة أيام سيكون لدينا عشرون ألف رجل . وسيسعد المصريون لطلب السلام » .

فى الصباح أمر أمويا ، بوضع بعض فروع الأشجار على سطح أحد البنايات التى تم الاستيلاء عليها . وما ان رأى المصريون ذلك حتى توقفوا عن رمى السهام . بعد ذلك صعد جيثرو فوق السطح . ودهش دهشة كبيرة لسماعه جيثرو يتحدث اليه بلغته .

« باسم الملك أمويا ، الحاكم الشرعى للريباس ، أدعوك أنا ، جيثرو قائد قواته ، أن تلقوا بأسلحتكم . لقد مات أمازيس ، والبلد كلها قد انتفضت ضدكم ، ان جيشنا يفوق جيشكم بكثير . واذا واصلتم القتال ، فهذا معناه الموت لكل المصريين الذين معك . وبامكاننا اذا أردنا أن نترككم تموتون جوعا ، لأننا نسيطر على كل الطرق التى تمدكم بالغذاء » .

وواصل جيثرو كلامه : « لن تصلكم اى مساعدة ، ولا يمكن أن تبعثوا برسائل لنقط المراقبة التابعة لكم فى السهل ، وأقرب عون لكم على بعد مئات الأميال . لقد عاش مليكنا فى بلدكم . ويعلم قوة وعظمة أمتكم ، وهو يبغى صداقتها ، ولهذا ، فهو سوف يسمح لكم بالرحيل دون خزى . كما أن الجزية التى أجبرنا ملككم على دفعها كل عام فهى مبلغ كبير جدا ، ورغم ذلك سوف يرسل ملكنا كل عام ما يساوى ربع هذا المبلغ ذهبا . أمامكم فرصة حتى صباح الغد حتى تفكروا فى العرض . لو تم رفضه ، فســــوف يقتل كل جندى مصرى ! » .

نزل جيثرو من فوق السطح وترك المصـــــريين يفكرون فى عرض الملك .

عند الظهيرة ، بدأ الرجال المحاربون فى الوصول . توافدت المجموعات بشكل منظم من كل المدن . كما جاء الصيادون والفـــلاحون والرعاة من كل القرى فرادى عندما وصلتهم الأنباء . بحلول المساء كان قد وصـــل عشرة آلاف رجل ، ظل المصريون صامتين طوال اليوم .. كان أموبا على أمل كبير بأن يقبلوا عرضه . علما بأن رجاله ظلوا على اســــتعداد للهجوم فى جميع الأحوال .

فى الصباح صعد جيثرو وأموبا الى سطح المبنى الذى تحدث منه جيثرو فى اليوم السابق .

بعد مضى عدة دقائق ظهر القائد المصرى وبعض الضباط على السطح المبنى المقابل . **قال جيثرو بصوت مرتفع يسمح لهم جميعا بســـماعه :** « هذا هو الملك أموبا ، وهو هنا ليسمع ردكم » .

فقال القائد المصرى : « نحن على استعداد لمغادرة

بلدكم ، على ان نحمل اسلحتنا معنا . ويجب أن يكون مفهوما اننا نغادر بكرامتنا ، وليس كجيش منهزم .. ونحن نستطيع ، اذا رغبنا ، أن نقاتل ونشق طريقنا » .

فقال أموبا : « بامكانكم أن تفكروا فى ذلك اذا رغبتم »

دهش القائد المصرى جدا لسماع الملك وقائده يتكلمان باللغة المصرية .

« ولابد أن تكونوا شجعانا للغاية حتى تحاولوا ذلك ، لكنكم ستقتلون جميعا . لا يمكنكم السيطرة على البلاد ، والشعب جميعه ضدكم . ولذلك فانه من الأفضل لكم بالتأكيد ، أن تغادروا البلاد بكرامتكم دون أن تفقدوا حياتكم ! »

قال القائد المصرى : « لقد تكلمت عن المال الذى وعدت بأن تدفعه لمليكنا ـــ لكنى لا أملك سلطة تقرير ذلك » .

قال أموبا : « انا أتفهم ذلك .. لكنى آمـــل ،

ياسيدى ، وقد رأيت بنفسك مدى فقر دولتنا ، أن تقنع الملك بالموافقة . وأعدك بأن المال سوف يدفع » .

خلال ساعة كان الجيش المصرى على استعداد للرحيل من المدينة . حمل كل رجل طعاما يكفيه أسبوعا كما أمر أموبا بامدادهم بالمواد الغذائية فى كل مكان يتوقف فيه الجيش بأرضهم .

وفى نظام تام خرج المصريون من المدينة . مروا خلال شـــوارع المدينة ، حيث كانت الجماهير تطلق صيحات الفرح لمشاهدتهم يرحلون .

ولم يكد آخر جندى مصرى يمر من بوابة المدينة ، حتى هبط الجنود من فوق الأسوار وهم يهللون من الفرح . ثم بدأ احتفال كبير فى ساحة المدينة .

كانا أموبا قد بعث برسالة الى مايســـــه وروث يخبرهما بانتصـــارهم . ثم ترك جيثرو ، الذى عينه حاكما للمدينة ، ليواصل حكم البلاد باسمه .

انطلق هو وشيبرون لاحضـــار الفتاتين الى المدينة . لكنه لم يسافر كتاجر هذه المرة ، بل كملك .

اصطحب معه عشرين من الشخصيات الهامة فى الريباس فى عرباتهم ، ومجموعة مسلحة من الفرسان . وكان يســــتقبل بالهتفات واتلرحاب فى كل مدينة يمر بهـــا .

سرعان ما وصل الى المدينة التى تقع على شاطىء البحر حيث ترك الفتاتين . وهناك أستقبل من كل زعماء المنطقة المحيطة، استقبال البطل المخلص من المصريين ، ثم أخذ طريقه الى بيت التاجر الفارسى الذى تعيش فيه الفتاتان . عندما توقفت العربة عند الباب ، خرج التاجر الفارسى ، وانحنى حتى لامس الأرض .

دخل أموبا وشيبرون البيت واتجها الى حجـــرة الفتاتين . كانتا واقفتين نصف خائفتين فى أحد أركان الحجرة . وانحنت الفتاتان انحناءة خفيفة عند دخوله . توقف أموبا مندهشا . فلقد نسى للحظة بأن الرجل الذي كان عبدا لمايسه ذات يوم أصبح الآن ملكا لدولة قوية .

ــ « أهذه أختك ياشيبرون التى تحيى صـــديقها القديم ؟ هل أنا نفس الشخص أم انسان آخر ؟ »

فقالت مايسه بنصف ابتســـامة ودموع الفرح فى عينيها : « أنت الملك أموبا » .

ــ « هذا صحيح الى حد كبير ، يا مايســـــه ، ودائما ما كنت أميرا ، رغم أننى كنت عبدا ، كما تعرفين .. لذا فليس هناك ما يدعو للدهشة فى ذلك ؟ »

قالت مايسه : « هناك فرق كبير ، وطالما هناك فرقٌ فى المرتبة ، فمن الواجب أن .... »

فقال أموبا وهو يخطو نحـــــوها ويأخذ بيدها : ان هذا الفرق لن يستمر طويلا . ذلك أن شيبرون ، أخاك ، والذى هو أكثر من أخ لى ، قد وافق ــ والأمر يتوقف عليك أيضا ــ عما اذا كنت ستوافقين على أن تكونى ملكة الريباس وزوجتى . وبالتأكيد لن تلقى منى كل البهجة لو قلت لا ؟ »

بالطبع لم تقل مايسه ، لا ، وبعد ستة أسابيع تم الزواج الملكى بالمدينة . فى نفس الوقت كان هناك زواج آخر ، فقد تزوج شيبرون من روث ..

. هكذا تسبب السهم الذى قتل قطة بوباسطس المقدسة ، فى سعادة الأصدقاء الخمسة بدلا من الحزن .. فلو لم يصب ذلك السهم فرع الشجرة ، لما غادرت مايسه وشيبرون أرض مصر أبدا ، ولما وجدوا السعادة فى بلد آخر ، ولظل أمويا وجيثرو عبدين فى مصر ، ولا أصبح أحدهما ملكا والثانى القائد العام لجيش الريباس ، ولا أصبحت روث الزوجة السعيدة لشيبرون وأم أطفاله .



خط سير الرحلة

الفهرس

الفصل الأول : مدينة الريباس ٧

الفصل الثانى : قبل المعركة ١٥

الفصل الثالث : مقتل الملك ٢١

الفصل الرابع : الدفاع عن المدينة ٢٩

الفصل الخامس : بداية الهجوم ٣٥

الفصل السادس : سقوط المدينة ٤١

الفصل السابع : أمويا عبدا ٤٧

الفصل الثامن : الكاهن الأكبر ٥٥

الفصل التاسع : الحيوانات المقدسة ٦١

الفصل العاشر : انقاذ من الموت ٦٩

الفصل الحادى عشر : شيبرون يرسل خطابا ٧٧

الفصل الثانى عشر : الأعداد للزواج ٨٧

الفصل الثالث عشر : السلالم الحفية ٩٧

الفصل الرابع عشر : موت نكو........................ ١٠٣

الفصل الخامس عشر : قطة بوياسطس ١١٣
الفصل السادس عشر : بداية البحث ١٢٣
الفصل السابع عشر : في المزرعة ١٢٩
الفصل الثامن عشر : العثور على القطة ١٣٥
الفصل التاسع عشر : مايسة ١٤٣
الفصل العشرون : البحث عن مايسة ١٥١
الفصل الواحد والعشرون : العثور على مايسة ١٥٩
الفصل الثاني والعشرون : لابد من مغادرة مصر ١٦٧
الفصل الثالث والعشرون : خطط الهرب ١٧٧
الفصل الرابع والعشرون : الرحلة النهرية ١٨٧
الفصل الخامس والعشرون : صعاب ومخاطر ١٩٥
الفصل السادس والعشرون : زوار غرباء ٢٠٥
الفصل السابع والعشرون : غيار وحر ٢١٣
الفصل الثامن والعشرون : الهجوم على المعسكر ٢٢٣
الفصل التاسع والعشرون : نهاية الرحلة ٢٣١
الفصل الثلاثون : عاش الملك ٢٤٣

٢٠٠٣-١٣٨٩٦
I.S.B.N 977-01-8732-1



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية .

سوزان

السعر
١٠٠ قرش

الهيئة المصرية العامة للكتاب